أشهر عمليات الكوماندوس في العالم



اعداد

قسم التأليف والترجمة في دار الرشيد

دار الجديد

مؤسسة الايمان

بيروت - لبنان

أشهر عمليات
الكوماندوس في العالم

اعداد
قسم التأليف والترجمة في دار الرّشيد

مؤسسة الايمان
بيروت - لبنان

دار الجديد

الطَّبْعَة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

الفصل الأول

عملية مطار عينتيبي

اختطف الفدائيون الفلسطينيون طائرة تابعة لشركة (ايرفرانس) وأرغموها على الهبوط في مطار عينتيبي في (أوغندة)، وقدمت لهم القوات المسلحة الأوغندية الحماية، وسمح الفدائيون للرهائن غير الصهاينة بالعودة إلى فرنسا، واحتجزوا الصهاينة كرهائن وطلبوا إطلاق سراح مجموعة من الأسرى الفلسطينيين الذين يعانون التعذيب في أقبية سجون الكيان الصهيوني، وهدّد الخاطفون بإقدامهم على قتل الرهائن في حال عدم الاستجابة لمطالبهم، ولكن النظام الحاكم في إسرائيل غامر بحياة الرهائن ونفّذ عملية عسكرية لقتل الفدائيين الخاطفين).

حاولت المنظمة الصهيونية العالمية إغراء السلطان العثماني بمبلغ ٥٠ مليون ليرة ذهبية مقابل السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، ولكن السلطان اعتبر فلسطين أمانة في عنقه، ورفض العرض.

وفي بداية القرن العشرين، قامت الثورة الكبرى بقيادة الشريف حسين، وانسحبت الجيوش العثمانية، فيما دخلت القوات البريطانية إلى فلسطين عبر الحدود



الجنرال عيدي أمين وهو يؤدي القسم الدستورية ويرفع المصحف الشريف ، رئيسا لأوغندة، مما أثار الغرب واسرائيل عليه.

المصرية، ووصل الجنرال اللنّبي إلى القدس، وبذلك بدأت الهجرة الصهيونية إلى فلسطين. وفي عام ١٩٤٧، أعلن (وايزمن) قيام دولة (إسرائيل)، وطرد ملايين الفلسطينيين من أرضهم وبيوتهم، وانتُزعوا من جذورهم، ولذلك نظَّم الشعب الفلسطيني نفسه ضمن (منظمة التحرير الفلسطينية) التي بدأت عام ١٩٦٥ تشنّ عمليات حرب عصابات ضد الكيان الصهيوني. وفي عام ١٩٦٨، قامت المنظمة

بأول عملية اختطاف طائرة إسرائيلية من شركة [إل عال] أثناء رحلتها من روما إلى تل أبيب، وحوَّلت مسار الطائرة إلى الجزائر.. ومنذ ذلك الحين، بدأت سلسلة عمليات لاختطاف الطائرات.

في هذه الأثناء، نشأت موجة تعاطف وتعاون بين منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمات أخرى في العالم، كمنظمة الجيش الأحمر اليابانية، ومنظمة بادر ـــ ماينهوف الألمانية الغربية.

أسَّس النظام الصهيوني في تل أبيب وحدات كوماندوز محترفة، على درجة عالية من التدريب للتصدي للعمليات الفدائية، وتلقت تلك الوحدات معونات فنية واستخبارية من كبرى دول المعسكر الغربي.

وفي شهر أيار من عام ١٩٧٢، اختطف الفدائيون طائرة بلجيكية تابعة لشركة سابينا (SABINA) وأرغموها على الهبوط في مطار <<بن غوريون>> الإسرائيلي، ولكن قوات الكوماندوز اقتحمت الطائرة دون أن تعير حياة الرهائن أيّة أهمية، واستشهد الخاطفان اللذان لم ينفذا تهديدهما بتفجير الطائرة في حالة الغدر. كان عدد الرهائن يومذاك ٩٧ شخصاً، وكانوا سيموتون جميعاً لو نفّذ الخاطفان التهديد أثناء الهجوم الإسرائيلي.

وفي حادثة أخرى، سيطر فدائيون فلسطينيون على مدرسة للأطفال في مستعمرة معلوت، شمال الجليل، في مايو (أيار) ١٩٧٤، ومرة أخرى لم يكترث الصهاينة بحياة الأطفال، واقتحموا المدرسة، ولم ينفذ الفدائيون تهديدهم، ومات أثناء الاقتحام ٢٢ طفلاً.

لقد أعلن <<شمعون بيريز>> عام ١٩٧٠ ـ والذي كان وزيراً للدفـاع ـ أنَّ نظام حكمه لن يلبّي مطالب الفدائيين مهما كان الثمن. أما على الصعيد العالمي، فقد بدأ المعسكر الغربي حملته الإعلامية طويلة الأمد لوصف الفدائي الفلسطيني بكلمة <<إرهابي>>، بينما لجأ الصهاينة لاستعمال كلمة <<مخرِّب>>، أما المنظمات التي تقوم بحرب عصابات موالية للغرب فيصفها الإعلام الدولي بكلمة (مقاتلون من أجل الحرّية)، وسنرى فيما بعد الإعلام الغربي يطلق على المسلم تسمية (المتطرّف)، لقد تضافرت جهود قوى الشر لمحاصرة النشاط الفدائي في فلسطين وتشويه سمعته عالمياً.

الرهائن في مطار عينتيبي:

في يوم ١٩٧٦/٦/٢٧، تعاون أربعة من الفدائيين مع ألمانيين (رجل وامرأة)، واختطفوا طائرة فرنسية من شركة (AIR FRANCE) الخطوط الجوية الفرنسية، الرحلة رقم ١٣٩، المتوجهة من تل أبيب إلى باريس، عبر أثينا. وبدأت عملية السيطرة على الطائرة بعد إقلاعها من المطار اليوناني، وكانت الطائرة تقلّ على متنها ٢٥٦ راكباً، إضافة إلى الطاقم المكوّن من ١٢ شخصاً، وتمكّن الخاطفون من الصعود إلى الطائرة في مطار أثينا، وبصحبتهم المسدسات وبقيّة الأسلحة. هبطت الطائرة أولاً في بنغازي (ليبيا) للتزوّد بالوقود، ثم طارت إلى مطار عينتيبي الأوغندي، وهناك هبطت، ونزّل الركّاب إلى مبنى المطار.

أذاع راديو أوغندة مطالب الخاطفين يوم ١٩٧٦/٦/٢٩، وعدَّ الغرب ذلك تعاوناً أوغندياً مع (الإرهاب).

كانت مطالب الخاطفين بسيطة وعادلة، فقد أرادوا إطلاق سراح ٥٣ أسيراً فلسطينياً، منهم ٤٠ في الأقبية الصهيونية، وستّة في سجون ألمانيا الغربية، وخمسة في معتقلات كينيا، وواحد في سويسرا، وآخر في فرنسا. وقبل بدء المفاوضات، تمّ فصل ١٠٠ صهيوني عن بقية المسافرين، وأُرسل غير الصهاينة إلى فرنسا، وبدأ الفدائيون مفاوضاتهم بنيّة حسنة، ولكن المؤامرة في تل أبيب كانت تسير في اتجاه آخر.

أمّا أوغندة، فقد كانت تحت قيادة الجنرال عيدي أمين الذي تعرّض بدوره لحملة هوجاء بسبب تعاطفه مع المسلمين من أبناء دينه في قضيتهم العادلة، وكان عيدي أمين قد أجرى في وقت سابق دورة عسكرية في إسرائيل، وقام بانقلاب عسكري في بلاده، وكان محبوباً لدى الدوائر الغربية، ولكنه عاد فأظهر تعاطفه مع العرب والمسلمين، وهنا بدأت حملة منظمة ضده إلى أن أُزيح عن سدّة الحكم في بلاده، وصار هدفاً للدعاية الغربية من أجل تشويه سمعته عبر الافتراءات، حتى قيل عنه إنه يحتفظ في ثلاّجته بلحوم بشرية اعتاد على أكلها يومياً. أما الذنب الحقيقي لعيدي أمين فهو التعاطف مع المسلمين والعرب.

تخطيط المؤامرة على أرفع المستويات:

أمر رئيس الأركان الفريق (غور) في تل أبيب مساء يوم ٦/٢٨ بتحضير وحدة مظلّيين للإنزال في عينتيبي، ولم يحدّد الهدف؛ بل أبقى الخيارات أمامه مفتوحة، إذ هناك إمكانية للوصول إلى عينتيبي بالإبحار عبر بحيرة فكتوريا، وهناك إمكانية للهبوط في مطار دولة مجاورة، ثمّ العبور إلى عينتيبي.

لم يضع الصهاينة المجتمعون في تل أبيب باعتبارهم احتمال مصرع الرهائن، فكل ما أرادوه هو قتل الفدائيين وعدم إجابة مطالبهم.

كان واضحاً أن تنفيذ طلبات الفدائيين سيشكّل سابقة خطيرة، وسيجعل الفدائيين يقومون بعمليات أخرى مشابهة أملاً في تحقيق أهدافهم.

أُوكل تنفيذ العملية إلى ضابط المظليين الفريق (دان شومرون)، وكانت وحدته مساءَ ٦/٣٠ جاهزة للتنفيذ والانقضاض على مطار عينتيبي وتصفية الفدائيين، أما خبراء الطيران فقالوا إن طائرة النقل الأمريكية من طراز (هرقل) والتي ستحمل الوحدة مع عرباتها المصفّحة، قادرة على الطيران حتى مطار عينتيبي، ولكنها ستحتاج هناك إلى إعادة التزوّد بالوقود.

استدعي الفريق شومرون قائد العلمية لشرح خطّته أمام وزير الدفاع وقائد سلاح الجو ومساعد رئيس الأركان لفرع العمليات، وتّمت دراسة الخطّة بكل تفاصيلها. سيتمّ الهبوط في عينتيبي يوم السبت ٧/٣، الساعة ٢٣,٠٠، قبل يوم كامل من الهجوم، أما الانطلاق الأوّلي فسيكون من مطار في شرم الشيخ (سيناء) في الساعة ١٥,٣٠ يوم ٧/٣، وباتجاه عينتيبي.

نلاحظ هنا أنَّ هذه التفاصيل تشكّل الرواية الرسمية الصادرة عن إسرائيل ولا تعطي الحقيقة، وهناك مصادر تقول إنَّ الإنزال تمَّ في كينيا ـ بمساعدة من الحكومة الكينية ـ ومن هناك انتقلت القوة الإسرائيلية إلى أوغندة، ولكن إسرائيل لا تعترف بذلك، وإنّما تدّعي أنَّ قواتها هبطت في عينتيبي.

ومن أجل التضليل والإيهام بعدم وجود خطة عسكرية للتدخّل خلف الكواليس، استمرّت المفاوضات الديبلوماسية بين فرنسا وأوغندة على أساس أن تل أبيب قد تلبّي مطالب الرهائن مع حلول يوم الأحد ٧/٤، وهو الموعد النهائي الذي حدّده الخاطفون، وصار ضرورياً تمديد الموعد النهائي للمماطلة إلى حين تنفيذ الضربة العسكرية في الظلام.

الاستعدادات:

استمرت التحضيرات في مجلس الوزراء الإسرائيلي لتنفيذ عملية عينتيبي، وتمَّ عزل الوحدات المنفذة عن بقيّة العالم، بل عزلت عن قاعدتها، وأقامت في معسكر منفصل، وقُطعت عنها الاتصالات الهاتفية، وطُلب من المظلّيين عدم مغادرة المعسكر لأيّ سبب، وكان عدد المظليين ٢٠٠ رجل مدربين على أرفع المستويات.

خاضت التفاصيل دقائق الأمور، وجمعت كل المعلومات الاستخبارية اللازمة، وقسمت الوحدة إلى خمس مجموعات، وكلّفت المجموعة الأولى بتأمين الإضاءة اللازمة، وكُلّفت الثانية باحتلال مبنى المطار القديم، وكلّفت الثالثة باحتلال المبنى الجديد، وكلّفت الرابعة بتدمير الطائرات المقاتلة الأوغندية، بينما كان واجب المجموعة الخامسة إخلاء الرهائن من المبنى القديم واقتيادهم إلى طائرة النقل التي ستحملهم وتغادر المطار.

تدفّقت المعلومات الاستخبارية بغزارة من عدّة عواصم إلى تل أبيب، وكانت إحدى الصور تظهر الرئيس الأوغندي عيدي أمين في مطار عينتيبي خلال استقباله أحد زعماء العالم قبل عام وصل عيدي أمين إلى المطار مستقلاً سيارة مرسيدس

سوداء، وتتبعه سيارة لاندروفر، وهنا برزت فكرة ناجحة للتمويه، فقد تقرّر إرسال سيارة مرسيدس سوداء وسيارة لاندروفر مع الوحدة العسكرية إلى أوغندة، حيث تلعب السيارتان دوراً في المطار لإعطاء الانطباع بأن الرئيس عيدي أمين قادم إلى المطار للزيارة.

ومن ناحية أخرى، قامت الاستخبارات الغربية باستجواب الرهائن غير الصهاينة العائدين إلى مطار باريس، فتجمّعت معلومات كثيرة عن وضع المطار ومبانيه، إضافة إلى معلومات جاءت من صور الأقمار الصناعية الأمريكية. أما أهم ما جاءِ في صور الأقمار الصناعية فقد كان مبرزاً مكان توزع القوات الحكومية الأوغندية في منطقة المطار.

ومع وجود سيل المعلومات الاستخبارية، أكّد الفريق (غور) لوزير الدفاع (بيريز) أن العملية أكيدة النجاح، وأكّد أنه سيقود العملية بنفسه ومن مقرّ قيادته، وأنَّ هيئة أركان الجيش ستظلّ في طائرة نقل للتحليق قريباً من مسرح العمليات.

لقد وضع الخطّة قائد فرع العمليات الفريق <<آدم>> وقائد القوى الجويّة الفريق <<بينامين بيليد>>. كما أُرسلت طائرة <<مستشفى ميدان>> إلى مطار نيروبي (كينيا)، أما الوقت الأفضل للتنفيذ فهو مساء ٧/٣، وتحت جنح الظلام. وقام الفريق غور شخصياً بفحص طائرة النقل من طراز هرقل الأمريكية وتأكّد من قدرتها على الهبوط الليلي.

درس الفريق غور ووزير الدفاع ورئيس الوزراء تفاصيل الخطة للمرَّة الأخيرة، فالطائرة الأولى ستهبط على المدرّج في الساعة (١١) ليلاً وتهبط منها المجموعة

المكلفة بالإنارة وإرشاد عملية الهبوط والإنزال، لأن سلطات مطار عينتيبي أطفأت أنوار المدرّجات. ثم تهبط من الطائرات سيارة <<مرسيدس>> وسيارتا <<لاندروفر>>، وتتجه معاً إلى المبنى القديم للمطار حيث يوجد الفدائيون.

في هذه الأثناء يسيطر المظلّيون على المبنى الجديد وغير المأهول، ثم يسيطرون على محطة الوقود وبرج المراقبة. ومن جهة ثالثة، تهبط طائرة أخرى محمّلة بالتجهيزات الالكترونية الخاصة بالاتصالات وبالتشويش على الاتصالات الأوغندية وأجهزة الفدائيين. ثم تهبط الطائرة الثالثة وهي تحمل قوة احتياطية لحماية القوة المنفّذة وللإسعاف وإخلاء الجرحى والرهائن.

ووافق مجلس الوزراء على الخطة دون اعتراض.

مـرة أخـرى ينبغـي أن نذكـر أنفسـنا أن هـذه الروايـة الرسميـة، وأن الحقيقــة غامضة.

عملية عينتيبي.

تم التنسيق لهبوط الطائرة الأولى مباشرة خلف طائرة نقل بريطانية، ولم تثر أي شبهة، فقد حصل كابتن الطائرة البريطانيــة علـى إذن للهبـوط، واسـتقرت الطـائرة الإسرائيلية محتمية بالبريطانية، ودون إضاءة الأنوار، وفي مكانها البعيد عن الأنظـار، نـزل الجنـود منهـا، واسـتقلوا سـيارات المرسـيدس واللاندروفــر، وركــب البقيــة السيّارات المصفحة. كان المفـروض أن سـيارة المرسـيدس تقـلّ الرئيـس <<عيـدي أمين>>، وأن سيارتي اللاندروفر تقلاّن حرسه الخاص ومرافقيـه، لذلـك تحركـت تلك السيارات الثلاث ببطء نحو المبنى القديم، إلا أن جندياً أوغندياً اعترض طريــق الموكــب ببندقيتـه، فقتلـه قـائد العمليـة بالرصـاص، وهنـا بـدأت المعركــة، وكـــان الفدائيون قادرين على تنفيذ

تهديدهم وتفجير المكان بمن فيه من رهائن، ولكنهم لم يفعلوا، بل خــاضوا معركــة بمـا معهـم مـن أسـلحة بسيطة، واستشـهد أربعـة فدائيـين، ومـات قـــائد العمليــة الإسرائيلي المسمى (يوني) بإصابة في عنقـه، ونقـل إلى المشـفى الميدانـي في البدايـة، ولكنه مات متأثراً بجراحه.

أما الألمانيان فقد قتلا أثناء هروبهما من المبنى، بينما مات ٣٥ جندياً أوغندياً. وقامت الطائرات الأخرى بتطويق القوات الأوغندية بزخات كثيفة مــن الرصـاص، ثم بدأت عمليات إخلاء الجرحى والرهائن.



جنازة في اسرائيل لدفن زعيم فريق الكوماندوس في عملية عنتيبي

كان التصدي من جهة الفدائيين عنيفاً، لذلك غيّر الفريق <<شومرون>> خطته، وبدلاً من تزويد طائراته بالوقود من محطة مطار عينتيبي، قرّر التزوّد بالوقود من مطارات كينيا القريبة. وأعطى شومرون أوامره من طائرة طراز <<بوينغ ٧٠٧>> كانت تحلق قريباً من الحدود الأُوغندية.

استغرق القتال (٥٧) دقيقة، وبدأت أول طائرة مغادرة مطار عينتيبي في الساعة ١١,٥٨ ليلاً، ثم أقلعت الطائرة الثانية بعد ٤٢ دقيقة، وقام المهاجمون بتفجير ثماني طائرات حربية أوغندية كانت قابعة على مدرجات المطار، وهي من طراز <<ميغ>>.

لم يقتل الفدائيون أيّاً من رهائنهم، وهكذا نجا ٩٩ رهينة، ومات واحـد فقـط برصاص الكوماندوس الإسرائيلي لأنه لم ينبطح أرضاً أثناء القتال بين الطرفين.

عادت الطائرات وهبطت في مطار اللـد حيث استقبلها <<يغال آلون>> نائب رئيس الوزراء.

الفصل الثاني

عملية إنقاذ دوزير

عرفت إيطاليا منظمة الألوية الحمراء، خاصة عندما اختطفت <<ألدو مورو>>، رئيس الوزراء السابق لإيطاليا، ثم عثرت الشرطة على جثته في صندوق سيارة متوقفة في أحد شوارع روما. لقد استطاعت الألوية الحمراء أن تسخر من قوات الاستخبارات الأمنية الإيطالية زمناً طويلاً، وخاصة عندما اختطفت العميد <<دوزير>> على مشهد من رجال الأمن الإيطاليين، وأدركت الحكومة أنها لن تغسل عارها إلا بإطلاق سراح هذا الضابط الأمريكي الأسير، وقد اشتهرت الألوية الحمراء بأن أسيرها لا يخرج حياً... فكيف استطاعت قوات الأمن الخاصة إطلاق سراح العميد <<دوزير>>؟...

جرت عملية إنقاذ العميد <<جيمس دوزير>> في الشهر الأول من ١٩٨٢ على يد وحدة مكافحة الإرهاب المركزية المعروفة باسم (الرجال ذوي الرؤوس الجلدية) إشارة إلى القبعات الجلدية التي يرتديها رجال تلك الوحدة.

من هو العميد <<دوزير>>؟ إنه صاحب أعلى رتبة عسكرية بين القوات الأمريكية المرابطة في مركز القيادة الجنوبية لحلف شمال الأطلسي (ناتو) والموجود



جنود الفرقة الخاصة منبطحين على الأرض أثناء الحصار

في مدينة <<فيرونا>>. وقد اختفى من منزلـه يـوم ١٩٨١/١٢/١٧ حيـث اختطفـه رجال أعضاء في منظمة الألويـة الحمـراء، أشـهر منظّمـة تمـارس العمـل العسـكري المسلّح السرّي في إيطاليا. نقل الرجال الخاطفون أسيرهم في عبَّارة بحرية بخارية مـن <<فيرونا>> إلى <<بادوا>>.

اتبع الخاطفون خطّة ذكية لإيواء أسيرهم بشكل لا يتعرف معه على المكان لو أُطلق سراحه في المستقبل، فقد سجنوه في شـقة سـكنية تقـع في الطـابق الثـاني مـن إحدى العمارات القائمة في منطقة سكنية مزدحمة.

ومن أجل التمويه وإيهام الأسير، وضع ضمن خيمـة عسـكرية داخـل إحـدى الغرف، وهكذا ظل العميد يعتقد أنه مسجون ضمن خيمة في مكان ما من البرّيـة. وفي رسالة إلى وسائل الإعلام، قالت المنظمة إنها خطفت العميـد الأمريكـي، وهـو الآن في حالة توقيف في (سجن الشعب)، وسيقدم للمحاكمـة بسـبب المجـازر الـتي ارتكبها في فييتنام ضد المدنيّين العزَّل من السلاح.

شنّت وزارة الداخلية الإيطالية حملة واسعة للبحث عن مجرم الحرب الأمريكـي <<دوزير>>، و لم تشهد إيطاليا حملة مماثلة سوى عام ١٩٧٨ عندما اختطف رئيـس الوزراء السابق <<ألدور مورو>> زعيم الحزب الديمقراطي المسيحي على يد منظمـة الألوية الحمراء، وقد صدر بحقّه حكم بالإعدام، وتمّ إعدامه بعد اعتقالـه ٥٤ يومـاً، وعثر على جثته فيما بعد.

وظفّت السلطة ٦٠٠٠ رجل لجمع المعلومات، وأقامت شـبكة اتصـالات مـع منظمات الاستخبارات الغربية، وأثمرت تلك الجهود حيث وقع اثنان من أعضاء



أحد رجال فرقة الكوماندوس وقد ارتدى ملابس (النينجا) على الشرفة

الألوية الحمراء في الأسر، وتم انتزاع المعلومات منهما، وأدّى ذلك إلى اقتحام أحد مقرّات الألوية الحمراء، وسهّل ذلك الحصول على معلومات جديدة، وهكذا اقتحمت المخابرات الإيطالية مقراً ثانياً.. ومع كل اقتحام جديد، تتجمّع معلومات جديدة.. تؤدّي إلى اقتحام آخر..

إلى جانب ذلك، كانت أجهزة الاستخبارات بما تملك من تجهيزات الكترونية بالغة التطوّر والتعقيد تلتقط المعلومات وتكشف نقاط التقاطع والاتصال؛ إلى أن تمّ تحديد الموقع الذي يُسجن فيه العميد الأمريكي...

أدرك المشرفون على غرفة العمليات السرية أن الهجوم على الشقّة في ظلام الليل قد يؤدي إلى مصرع الأسير نفسه، نتيجة للتراشق الأعمى بالرصاص، لذلك تقرّر اقتحام المكان في وضح النهار.. وهكذا انتشر في المنطقة ـ مع بزوغ الفجر ـ

ثمانون رجلاً بملابسهم المدنية، وانطلق بلدوزر يتجول في المكان لتغطّي جلبته وضوضاؤه على تحرّك الرجال، وفي الظهيرة طُلب من الجوار القاطنين في المنطقة إخلاء المكان كي لا يقعوا ضحايا لتراشق النيران.

كان المشهد في الشارع عادياً جداً، وورشة الأشغال العامة تتظاهر بإجراء إصلاحات في الطريق، وفي لحظة واحدة، اندفعت عربة خضراء كبيرة إلى مدخل المبنى، وبسرعة البرق، اندفع من داخلها عشرة رجال مقنّعين وبملابسهم السوداء حاملين رشاشاتهم المتطوّرة خفيفة الوزن..

هنا بدأ حصار المبنى بشكل علني واضح... وفتحت أبواب الجحيم...

لقد تمكّن رجال الكوماندوس من مفاجأة الحراس الخمسة في الشقّة السكنية، وبحركات سريعة من رياضة الكاراتيه الحربية اليابانية؛ سقط الحراس على الأرض، اندفع لحظتها المهاجمون باتجاه الغرفة التي تحتوي الخيمة، حيث يعتقل العميد الأمريكي الأسير... كان في الغرفة حارس سادس وقد انتبه لما يحدث وشهر سلاحه، لكنه لم يطلق الرصاص على الأمريكي... بل سلّم نفسه دون أدنى مقاومة...

حقّقت العملية نجاحاً باهراً، فقد تمَّ إطلاق سراح الأمريكي دون أن يموت أحد من المهاجمين، ودون أن يموت الأمريكي نفسه.. وشكّلت العملية ضربة صاعقة للألوية الحمراء بعد وقوع رجالهم الحراس في الأسر لدى العدوّ، حيث سيرغمون تحت التعذيب على الإدلاء بالأسرار..

ارتفعت معنويات وحدة مقاومة الإرهاب المركزية وذاع صيتهـا، خاصـة وأن رهائن الألوية الحمراء ومنذ عام ١٩٧٥، لم يخرج أحد منهم مـن الأسـر علـى قيـد الحياة.: فهذه أول مرة يخرج الأسير حياً معافى...

الفصل الثالث

عملية القنبلة المرتدّة

واصلت دول الحلفاء ضغوطها على دول المحور أثناء الحرب العالمية الثانية. وكانت الوسيلة الوحيدة لإيقاف الحرب هي إيقاف إنتاج المواد الحربية. فقد تبنّى العالم البريطاني الدكتور <<واليس>> فكرة تدمير السدود الألمانية، وبالتالي تفقد ألمانيا المياه والطاقة، وتتوقّف مصانعها وتحدث كارثة كبرى وشاملة في ألمانيا.

لا تبيح الحرب عمل كل شيء.. وهناك حدود للأشياء المباحة في الحرب.. ولكن الدكتور <<واليس>> كان أقرب ما يكون إلى ذئب بشري، لأنَّ فكرة تدمير السدود فكرة شريرة وغير مقبولة حتى في الحروب، ونتائجها مرعبة في تدميرها للحياة..

لم تعد الحروب وقفاً على الجنود المحاربين في الأزمنة المعاصرة، فالعلماء أيضاً يلعبون دوراً فعّالاً في تحديد مصير ونتيجة الحروب.

لقد كانت الحرب العالمية الثانية حرباً بين العلماء من المعسكرين المتحاربين، أي معسكر الحلفاء الذي يضم بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، ومعسكر دول المحور الذي يضم ألمانيا الهتلرية واليابان وإيطاليا.

قبع الدكتور <<واليس>> - العالم البريطاني - في مختبره يفكّر في طريقة لتدمير ألمانيا على مستوى واسع، وتوصّل إلى خطّة تضع نهاية لنشاط مصانع السلاح والفولاذ الألمانية، فقد اقترح تدمير السدود الألمانية، وخاصة سدّ <<مون>>، وسدّ <<إيدر>>، وسدّ <<سورب>>، وهي التي تؤمن الطاقة الكهربائية للمصانع والبيوت والمشافي والمدارس والمزارع، كما تؤمن كذلك مياه الشرب للسكان وللمصانع، خاصة مصانع الفولاذ، وبالتالي سيؤدي تدمير السدود إلى قطع التيار الكهربائي والمياه عن الشعب الألماني، وسيؤدي إلى تدفق الفيضانات في حوض الرور؛ مما يؤدي إلى تدمير الجسور والبيوت والمشافي والمدارس والطرقات.

جرت دراسة دقيقة للسدود الألمانية بهدف تدميرها، وأظهرت الدراسة صلابة تركيب تلك السدود، فعلى سبيل المثال يبلغ ارتفاع سد مون ١٣٠ قدماً، أما السماكة عند القاعدة فتبلغ ١١٢ قدماً، وعند القمّة ٢٥ قدماً. أما السدود الأخرى فهي أضخم وأقوى، ووجد الدكتور <<واليس>> أن أضخم طائرة في سلاح الجو الملكي البريطاني تحمل قنابل بوزن ١٠٠٠ باوند، وهي غير قادرة على الإضرار بتلك السدود، لذلك وجد الدكتور أمامه مشكلتين:

١ - الأولى إنتاج قنابل بوزن عشرة أطنان، وهذه تخلق موجات صدم تعبر جسم السد، وتجعل المياه تتسرب عبره.



بارنيس واليس، اعظم مهندس بريطاني زمن الحرب العالمية الثانية، وهو الذي وضع تصاميم القنبلة المرتدة (عام ١٩٤٣) وهي التي مكنت الطيران البريطاني من تدمير السدود المدنية في وادي الرور الألماني مما ادى الى افناء مظاهر الحياة في تلك المناطق فشكلت واحدة من كبرى الجرائم البشعة التي ارتكبها الانكليز خلال تاريخهم، ولم يصدر عنهم اعتذار حتى اليوم

٢ ـ الثانية إنتاج طائرة تخصص لحمل القنابل الجبارة بشكل تكون قادرة على حمل قنابل من وزن عشرة أطنان.

وحتى عام ١٩٤٠، كانت أحسن القاذفات البريطانية من طراز <<ولنغتون>> قادرة على حمل قنبلتين؛ وزن كل منهما طنّان. هنا بدأ الدكتور <<واليس>> يدرس تطوير نماذج جديدة من تلك الطائرات.

يعدُّ الذين يعيرون للمعايير الأخلاقية وزناً أهمية اقتران العلم بالقيم، فإذا خرج العالم عن حدود الأخلاق، فلا يعدُّ عالماً آنذاك، بل هو شخص شرير ليس إلا. وبالطبع فليس بمقدور الدكتور <<واليس>> الادّعاء بامتلاكه مقداراً من الأخلاق.

دوّن الدكتور <<واليس>> خطّته في مذكّرة تحتوي على المخطّطات والمعادلات، وأرسل نسخاً منها إلى اللورد <<بيفر بروك>> وزير إنتاج الطيران البريطاني، وإلى السير <<تشارلز كريفن>> مدير مصانع <<فيكرز>> الذي ينتج الطائرات لحساب سلاح الجو الملكي البريطاني، وإلى سبعين شخصية هامة في ميادين العلوم والسياسة البريطانية.

اهتم بالفكرة رجل ذو نفوذ كبير، وهو السيد <<هنري تيزارد>> المستشار العلمي لوزير إنتاج الطيران البريطاني، وقام بتشكيل لجنة اسمها (لجنة الهجوم الجوي على السدود)، وتقرّر بناء نماذج على نمط السدود المستهدفة، لإخضاع خطة د. واليس للاختبار، وقد بُني النموذج الأوّل وباءت التجربة بالفشل الذريع.

أعيدت التجربة مرّات عديدة، إذ كان د. <<واليس>> واثقاً من نجاح فكرته السوداء، ونجحت التجربة في النهاية ١٠٠ بالمئة... بل توصل خلال التجربة إلى أن

قنابل تزن خمسة أطنان فقط تكفي لتنفيذ المهمة؛ وبالتالي يمكن حمل تلك القنابل بالطائرات من طراز <<لانكاستر>> التي صمّمها د. واليس بنفسه. وفي المرّة الأخيرة جرت تجربة على سدّ حقيقي لم يعد مستعملاً، وكان ملكاً لشركة <<برمنغهام كوربوريشن>>، ونجحت التجربة تماماً يوم ١٩٤٢/٢/٤.

صدور الأوامر:

شعر الدكتور <<واليس>> بالحبور لدى حصوله على إجازة لتصميم القنبلة الجبّارة، وعندما حلّ يوم ١٩٤٣/٢/٢ أكمل د. <<واليس>> التصميم المطلوب، واستمر العمل في تصميم طائرة قادرة على التحليق على ارتفاع ٢٥,٠٠٠ قدم، وقامت الطائرات بالتحليق فوق السدود وتصويرها والتعرّف على مستوى ارتفاع المياه والدفاعات المتمركزة حول السدود.

أظهرت الصور الجوية وجود مدافع مضادة للطائرات في ستة مواقع عند سدّ مون وحده، وصدرت التعليمات لسلاح الجو للتدرب على تدمير تلك المدافع... واستمرت التدريبات على مدى شهرين كاملين للطيران الليلي، وكانت التعليمات تطلب من الطيارين ممارسة الطيران الليلي وعلى ارتفاعات منخفضة.. وقال قائد السرب: أريد أن تستمروا بالتدرب ليلَ نهارَ حتى تصبحوا قادرين على الإغارة حتى أثناء إغماض عيونكم... كما أريدكم أن تغلقوا أفواهكم والتزموا الصمت... فلا تتحدّثوا عن الخطّة أمام أحد....

إقلاع القاذفات:

ومع حلول شهر أيار <<مايو>>، وصلت طائرات لانكاستر المعدّلة إلى قاعدة سكامبتون، وفي يوم ١٣ أيّار <<مايو>> وصلت القنابل الجديدة. واختارت القيادة ضابط طيران هو (غي جيبسون) ليقود تنفيذ العملية ويقود السرب المهاجم. وتقرّر أن ينطلق السرب (٩ طائرات) في ثلاث مجموعات، جنوباً، لقذف سدي مون وإيديو، كما تقرّر أن تنطلق خمس طائرات أخرى بعد ساعتين كقوة احتياطية، فإذا لم يتم التدمير في الهجوم الأوّل، تقوم طائرات الاحتياط بتنفيذ ضربة ثانية، واتُّفق على كلمة سر للإعلام بنجاح المهمّة.

بدأ <<جيبسون>> في ظهيرة يوم ١٥ أيار <<مايو>> يشرح للطيارين مهمّتهم، وأعلمهم أن موعد التنفيذ قد تحدّد مساء ١٦ أيار <<مايو>>، وأن الطقس سيكون صافياً، وأعلم الطيارين لأول مرة بأن الهدف تدمير السدود الألمانية.

اقترب موعد التنفيذ، وأقلعت في الساعة ٩,٢٥ المجموعة التي ستطير باتجاه الشمال لأن طريق طيرانها أطول، ثم أقلعت تسع طائرات <<لانكاستر>> تحمل كل منها قنبلة بوزن خمسة أطنان، إضافة إلى أطنان من الوقود، ثم أقلعت في النهاية الطائرات الاحتياطية.

الإصابات الأولى:

قام الطيار <<ماكارثي>> بقيادة التشكيل الشمالي، ولدى مرور التشكيل فوق جزيرة فليلاند الهولندية، أصيبت طائرتان من التشكيل بنيران المدافع المضادة للطائرات... كما أصيبت فيما بعد طائرتان؛ ولم يبق من التشكيل سوى طائرة <<ماكارثي>>.

كان <<جيبسون>> يقود التشكيل الثاني الذي فقد طائرة فوق هولندة بسبب المدافع الألمانية.. ولكن طائرات <<اللانكاستر>> وصلت إلى منطقة سدِّ <<رين>> على وجود قذائف المدافع الألمانية.. وأخيراً وصل جيبسون إلى البحيرة المتشكّلة خلف السدّ العظيم...

صار السد عند ذلك الوقت تحت طائرات <<اللانكاستر>> وتحت رحمتها.. وشغّل <<جيبسون>> جهاز الإرسال وتكلم مع باقي الطيارين قائلاً: مرحباً.. سوف أبدأ الهجوم الآن..

أعطى <<جيبسون>> أجهزته الأمر لقذف القنبلة.. ولكنها لم تصب الهدف...

جاء دور الطيار التالي (هوب غود) ولكن طائرته أصيبت بنيران المدافع الأرضية وتحوّلت إلى كرة من النار في السماء.. وسقطت القنبلة في الوادي قريباً من محطة توليد الكهرباء..

كانت الطائرة الثالثة بقيادة (مارتن) الذي ـ بدوره ـ أخطأ الهدف أيضاً... كما أصاب المدافعون الألمان طائرته...

ظل السد سليماً لأن الطائرة الرابعة بقيادة دينغي يونغ فشلت أيضاً، كما فشلت الطائرة التي يقودها <<ديفيد مالتبي>>، ولم يبقَ في السرب سوى طائرة (شانون) الذي تلقّى الأوامر بالهجوم.. وعندما سقطت القنبلة انهار السدّ كأنّه بيت مصنوع من الورق المقوّى...

لم يبقَ من السرب سوى خمس طائرات، واتجه <<جيبسون>> يقود الطـائرات المتبقية نحو سدّ <<إيدير>>.

أما د. <<واليس>> في غرفة العمليات فقد أصابـه الجنـون وهـو يسـمع أخبـار فشل المحاولة الأولى، والثانية، والثالثـة، والرابعـة.. وأخـيراً سمـع كلمـة السـر المتّفـق عليها... لقد دمّر السد الأول.. وانطلق قائد غرفة العمليات ليعلم وزير الطيران...

دُمّر سد مون وسبّب فيضانات مرعبة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً.. وعلـى بعـد ميلـين في الـوادي، استيقظ راعـي إحـدى الكنـائس وهـرع ليقـرع الجـرس وينبـه السكان.. ولكن دون فائدة.. لقد غرقت القرى ومات الناس مع القطعان وكل مـا يدل على الحياة... لقد زالت القرى من الوجود...

تدمير سد <<سورب>>:

فشل السـرب الأول في إصابـة سـد <<سـورب>>، وجـاء سـرب الاحتيـاط، وبالمصادفة سقطت قنبلة فوق الغابة، واشتعلت النيران بشكل هائل، وبالتـالي تمكّـن الطيارون الآخرون من مشاهدة السد، وإلقـاء القنبلـة عليـه.. وفي دقـائق معـدودة، اندفعت مياه البحيرة بسرعة مرعبة لتدمّر كل شيء في الوادي، فأزالت العديـد مـن القرى، ودمّرت المنطقة بالكامل وبشكل وحشي مفزع.

سد <<إيدير>>:

تكاثف الضباب في منطقة السد الثالث، وصار اكتشاف مكانه عملية صعبـة، كما أنّه مبنيّ في منطقة عميقة بين التـلال.. ولهـذا السـبب لم يهتـمّ الألمـان بنصب مدافع حوله للحماية.. وفي الوقت المحدد أمر <<جيبسون>> أحد الطيّارين بإحكـام

الهدف ثم القذف، لكن الطيار فشل في مهمته، وجاء دور الطيار الثاني.. وألقى قنبلته ولكنها انحرفت وأصابت جزءاً ضئيلاً من جسم السد... وبسبب شدّة الانفجار.. فإن الطائرة القاذفة نفسها تهشّمت وتناثرت على شكل شظايا...

كان قائد الطائرة الثالثة شاباً استرالياً، وكانت قنبلته الأخيرة.. وأمره <<جيبسون>> بالضرب.. وأصابت القنبلة جسم السد تماماً في المحاولة الثانية.. وانهار جسم السد لتندفع المياه الهائلة...

شاهد الطيار بأمّ عينه سيارة على بعد عدّة أميال وقد جرفتها المياه بشكل عنيف وصدمتها بالصخور.. كانت الفاجعة مرعبة والأهوال فظيعة.. لشدّة هول الكارثة... لأنَّ جبال المياه المندفعة لم تكن تميّز بين مخلوق ومخلوق.. بل تدمر كل شيء في طريقها.. إنها جرائم حرب حقيقية..

الجريمة:

في اليوم التالي، وفي ضوء النهار، قامت طائرة استطلاع بتصوير مسرح الجرائم الثلاث.. وفي الصور، ظهرت البحيرات فارغة تماماً من المياه.. وقد اندفع ٣٣ مليون طن من المياه في الوادي.. وغمرت الفيضانات مناجم الفحم على بعد ٥٠ ميلاً، وانهارت البيوت والمصانع والمدارس والمشافي ورياض الأطفال ودور العبادة.. غرقت المطارات.. ولم يظهر أي أثر يدل على وجود الطرقات أو السكك الحديدية أو الجسور. ودمّرت محطات توليد الطاقة.. كما أن معسكراً لأسرى الحرب الروس قد اكتسحته الأمواج وقتلت الأسرى.. إلى جانب آلاف المدنيين الألمان الذين لاقوا حتفهم بالصدمة أولاً، وبالغرق ثانياً...

لعق الدماء والثمن:

شعر الإنكليز بنشوة الانتصار وهم يتمتعون بمشاهد الدمار، وصاروا مثل الذئب الذي يتلذذ بلعق دماء الضحية.

خسر الإنكليز في تلك العملية ثماني طائرات مع طياريها.. وتمّ الاحتفال بأخبار الدمار في مكاتب الحكم في لندن وواشنطن، أما الدكتور واليس فقد استقبل الطيارين العائدين بنفسه في المطار كأنهم أبطال، وذرف الدموع لأن بعض الطيارين لم يعودوا، ولكنه نال وسام (صليب فكتوريا)، وحصل على مبلغ ١٠٠٠٠ جنيه استرليني أجراً على تلك العملية.. وكان المبلغ أكثر من جيد بالنسبة للدكتور واليس.

الفصل الرابع

عملية <<أبو غزالة>>

يعرف التاريخ فتاتين، تحمل كل منهما اسم (ليلى)، إحداهما ليلى العامرية التي أحبَّها قيس ضمن مجريات قصة عاطفية رومانسية، فصارت رمزاً للحب العذري. والثانية ليلى خالد، ابنة رجل من حيفا، تحمل الاسم الحركي (شادية أبو غزالة)، وقد اشتهرت بالحب أيضاً، ولكنه حب الوطن، وخاطرت بحياتها في سبيل تخليص وطنها من قبضة قوات الاحتلال.

شهدت الجزيرة العربية قصة حب بين قيس وليلى، وسمي قيس بالمجنون، أما ليلى خالد فقد عشقت تراب وطنها وأشجار برتقاله. كان والدها صاحب حانوت لبيع القماش في حيفا، ورزقه الله عام ١٩٤٤ ابنة سمَّاها ليلى، أي قبل ثلاث سنوات من اغتصاب فلسطين، وفي ذلك الوقت لم يكن شيء في الوجود اسمه (دولة إسرائيل).

عُرفت <<ليلى خالد>> باسم <<شادية أبو غزالة>>، ولكن شادية الحقيقية كانت أصغر من ليلى بثلاث سنوات، وقد وهبت حياتها لفلسطين فماتت عام ١٩٦٩ حين كان عمرها ٢١ ربيعاً.

<<ليلى خالد>> واحدة من آلاف الأطفال الذين أرغموا على مغادرة وطنهم وأرضهم ومقدساتهم مع عائلاتهم بسبب الإرهاب الصهيوني، أما بالنسبة لليلى، فقد أخذتها أمها مع إخوتها السبعة إلى (صور) في لبنان حيث يعيش أحد أخوالها.

عاشت ليلى مع أسرتها معتمدين على حصص الإعاشة التي تقدمها (الانروا) منظمة إغاثة اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، و لم تتجاوز حصة الإعاشة قيمة مئة ليرة لبنانية كل شهر...

أنهت ليلى دراستها الابتدائية في مدارس وكالة الإغاثة، ثم انضمت إلى مدرسة تنصيرية أمريكية قرب صيدا، ثم انتسبت إلى كلية الصيدلة في الجامعة الأمريكية في (بيروت)، و لم يسمح لها بنيل الشهادة الجامعية.

وبسبب الصدمة، سافرت ليلى إلى الكويت لتبذل جهدها في تعليم اللغة للأطفال الكويتيين على مدى ست سنوات. في هذه الأثناء، تخرج اثنان من إخوانها، وسافرا إلى الإمارات العربية المتحدة لتقديم خدماتهما في تلك الدولة الناشئة.

صارت ليلى ذلك الوقت قادرة على تكريس جهودها للقضية العزيزة عليها؛ أي تحرير فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي وإعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم. لقد خدمت أسرتها وإخوانها والكويت، وجاء الدور كي تخدم فلسطين الحبيبة، ولذلك انضمت إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي أسَّسها عام ١٩٦٧ الدكتور <<جورج حبش>>. انضمت ليلى إلى فرقة اختطاف الطائرات التي يقودها الدكتور <<وديع حدّاد>>.

وكما يفعل بقية الفدائيين المؤهلين لعمليات اختطاف الطائرات، تلقّت ليلى تدريباً مكثّفاً حول أساليب الخطف والاتصال اللاسلكي وأسس علم الملاحة الجوية. والمشهور عن الخاطفين الفلسطينيين أنهم يعرفون تفاصيل غرفة قيادة الطائرة تماماً، وأنهم يحملون أسلحة غير معدنية؛ وبالتالي لا يمكن كشف السلاح أثناء المرور عبر أجهزة الكشف الالكترونية في المطارات.

وبعد مضيّ سنة كاملة من التدريب، كلّفت ليلى بأول مهمّة لها عام ١٩٦٩، حيث طلب منها اختطاف الطائرة المسافرة من روما إلى أثينا في الرحلة رقم ٨٤٠، وهي طائرة من طراز <<بوينغ ٧٠٧>> تابعة لشركة <<ترانس - وورلد>>. أخبرت القيادة ليلى أن شخصاً آخر سيصعد إلى الطائرة في مطار روما، وزُوِّدت بصورة لذلك الشخص لأنها لم تشاهده من قبل، وبالفعل صعد الخاطف الثاني حسب البرنامج الذي يقضي بخطف الطائرة خلال نصف الساعة الأولى بعد إقلاعها، ونجحت ليلى في اختطاف الطائرة والهبوط بها في مطار دمشق في الساعة الخامسة والنصف عصراً. وهناك دمرت الطائرة وأُطلق سراح الرهائن ونجحت أول مهمة خطف طائرات تقوم بها ليلى، وصارت تلك الفتاة مشهورة في العالم كله، وسبقت في شهرتها مشاهير نجوم السينما والرياضة.

المهمّة الثانية:

تضايق الشعب الفلسطيني من قيام حاكم مصر جمال عبد الناصر بالموافقة على مبادرة (روجرز) وزير الخارجية الأمريكي لإنهاء المواجهة بين مصر وإسرائيل، وبدأ مفعول وقف النار يوم ١٩٧٠/٨/٨، وهنا أراد رجال الجبهة الشعبية لتحرير

فلسطين عمل شيء ما لإظهار كفاءتهم في خطف الطائرات والاحتجاج على حاكم مصر وتأمين إطلاق سراح بعض رجال الجبهة في معتقلات تل أبيب وبريطانيا وألمانيا الغربية وسويسرا، وخططت الجبهة لخطف طائرات صهيونية وأمريكية وسويسرية في يوم واحد، ثم أُضيفت إلى القائمة طائرتان (بريطانية وأمريكية أخرى).

أوكلت مهمة اختطاف الطائرة الصهيونية (المنطلقة من تل أبيب إلى أمستردام ثم نيويورك، الرحلة رقم ٢١٩) إلى <<ليلى خالد>> و<<عبد المحسن حسن>> و<<سيمو غوبي>> و<<سانغون ديوب>>، واختير يوم ١٩٧٠/٩/٦ لصعود الفريق إلى الطائرة من مطار أمستردام.

صعدت <<ليلى خالد>> مع <<عبد المحسن>> وكأنهما عريسان في شهر العسل ولم تثر أية شكوك حولهما، ولكن الرجلين الآخرين منعا من صعود الطائرة لأنهما أفريقيان (واليهود يكرهون السود). كادت العملية تُلغى، ولكن <<ليلى خالد>> قررت تنفيذ العملية مع الاستغناء عن الرجلين الآخرين.

لم تكن لدى ليلى فكرة عن الإجراءات الأمنية الجديدة في شركة طيران (إل عال)، ولم تعرف أن بعض المسلّحين المدربين اليهود بملابس مدنيّة يندسّون بين الركاب.

قامت ليلى من مقعدها وهي تنادي: يا الله.. يا الله.. وسيطرت على الطائرة، ولكن أحد الحراس المرافقين للطائرة قتل عبد المحسن، ثم نفّذ كابتن الطائرة حركة ميل شديدة ففقدت ليلى توازنها وسقطت بين المقاعد، وتمكّن الحرّاس

والركّاب من الإمساك بها والسيطرة عليها بعد أن أصابت أحد الحرّاس برصاصة. في النهاية هبطت الطائرة في مطار هيثرو بعد ١٨ دقيقة من بداية انطلاق عملية الاختطاف. ولأنَّ الحادث وقع في الأجواء البريطانية، أصرّت بريطانيا على اعتقال <<ليلى خالد>> دون الإنصات إلى رغبة الكابتن في تسليمها إلى الإسرائيليين. كان عبد المحسن قادراً على الدفاع عن نفسه، ولكنّه آثر سلامة الركاب وضحّى بحياته.

رُبّ مصادفة:

ماذا عن الرجلين الإفريقيين اللذين لم يتمكنا من صعود الطائرة الصهيونية؟ لقد صعدا طائرة شركة بان أمريكان، الرحلة /٠٩٣/. وهي من طراز بوينغ ٧٤٧ (جامبو) واختطفاها إلى مطار بيروت لإعادة التزوّد بالوقود، ثم اتجهت إلى مطار القاهرة.

وضع الرجلان الألغام بالطائرة، وأمرا الجميع بمغادرة الطائرة فور هبوطها، وبالفعل انفجرت الطائرة خلال دقائق وتحوّلت إلى ركام في مطار القاهرة الدولي. ولقد بيع حطامها بمبلغ مليون دولار أمريكي.

طائرة أخرى تخطف إلى الأردن:

خططت الجبهة الشعبية <<جورج حبش>> لخطف عدّة طائرات في ذلك اليوم المشهود، وأعدت برنامجاً منظماً للغاية، وجاء دور الرحلة رقم ٧٤١ التابعة لشركة (الخطوط الجوية عبر العالم TWA). لقد وقعت <<ليلى خالد>> في الأسر قبل ٤٥ دقيقة من إقلاع طائرة <<البوينغ ٧٠٧>> من مطار فرانكفورت (ألمانيا

الغربية)، وبدأت عملية اختطافها وهي تحلّق فوق بحر الشمال، واتجهت الطائرة نحو الأردن وعلى متنها ١٤٩ راكباً؛ إضافة إلى الطاقم المكوّن من عشرة أشخاص. وأثناء التحليق في الأجواء الألمانية قامت طائرتان أمريكيتان باعتراضها دون جدوى.

هبطت الطائرة في مطار مهجور يبعد ٥٥ كيلو متراً عن عمّان العاصمة، وأطلق عليه اسم (مطار الثورة). كان المطار في الماضي يقدم خدماته لقوات الطيران الملكي البريطاني عام ١٩٤٨ تحت اسم مطار <<داوسون>> نسبة إلى مارشال الجو البريطاني <<ولتز داوسون>>.

الاختطاف الناجح الثالث:

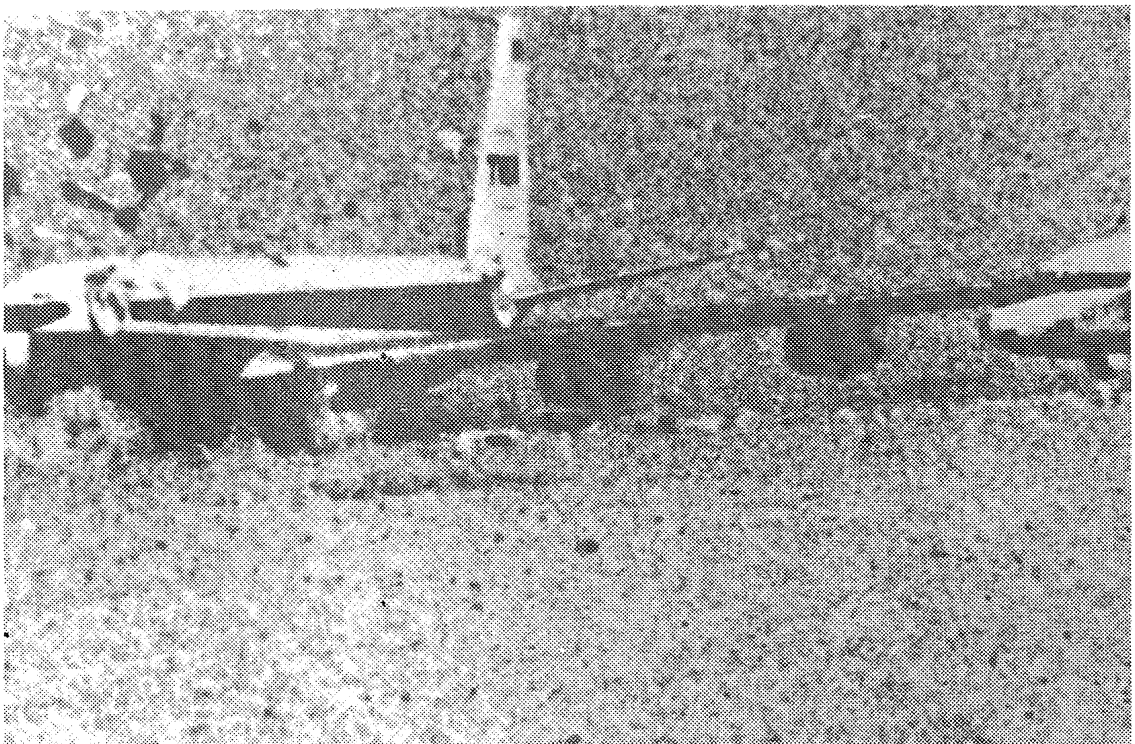
وفي الوقت نفسه، بينما كانت الرحلة ٧٤١ لشركة TWA تحت سيطرة الفدائيين، كانت فتاة أخرى من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تختطف الرحلة ١٠٠ التابعة للخطوط الجوية السويسرية أثناء تحليقها في أجواء فرنسا. أقلعت الطائرة (طراز دي ـ سي ـ ٨) من مطار <<زيوريخ>>، وبثّتْ الفتاة رسالة تقول:

(إن الرحلة ١٠٠ تحت سيطرتنا الكاملة، وقد صار اسمها الآن حيفا ـ ١)، أما الرحلة <<٧٤١>> لشركة TWA فسمّيت بـ (غزّة ـ ١).

وصلت الطائرتان إلى مطار الثورة، إحداهما تلو الأخرى. لم يكن المطار مجهزاً بالإضاءة، ولكن سيارة جيب استعملت أضواءها لإرشاد الطائرة (غزة ـ ١) أثناء عملية الهبوط، مع أن ذلك المطار القديم لم يستقبل ـ من قبل ـ طائرات ثقيلة مثل

<<البوينغ ٧٠٧>>، ولذلك غاصت عجلاتها في الرمال رغم الانتباه الشديد الذي بذله الطيار أثناء الهبوط، وعلى كل حال، لم يحصل ضرر يذكر...

بعد أربعين دقيقة، بدأ <<فريتز شرايبر>> ـ كابتن الطائرة حيفا ـ ١ ـ السويسرية هبوطه في مطار الثورة، ولكنه كاد يصدم الطائرة <<البوينغ>>، بينما تقلّ طائرته ٢٨٦ راكباً مع الطاقم المؤلف من ٢٢ شخصاً. استخدم الطيار مكابح الطوارئ، وهبت عاصفة من الغبار قبل أنْ تتوقّف الطائرة على بعد خمسين ياردة فقط من الطائرة الأولى... ونجت الطائرتان من حادث مروّع..



لحظة تفجير الطائرات في مطار الثورة (عمان)

قضيّة <<ليلى خالد>>:

لم يستمرئ الأردن عمليات الخطف تلك، وأرسل قواته المسلّحة إلى مطار الثورة لإطلاق سراح الرهائن وتأمين سلامة الطائرات، وهنا هدّد الفدائيون بتفجير الطائرات مع ركابها وطواقمها إذا تدخّل الجيش.

بدأت المفاوضات بين الأردن والجبهة الشعبية التي وافقت على إطلاق سراح النساء والأطفال فوراً، وإرسالهم إلى عمّان العاصمة، وبالتالي تبتعد القوات الأردنية كيلو متراً عن مطار الثورة.

بدأ التحقق من هويّة بقيّة المسافرين، ووصلت تعليمات لإلقاء القبض على البريطانيين بينهم للتفاوض على إطلاق سراح <<ليلى خالد>> الأسيرة في لندن، وفوجئ الجميع لعدم وجود مسافرين بريطانيين بين الركّاب، وهنا عقدت الجبهة الشعبية اجتماع طوارئ في عمّان للتخطيط وخطف طائرة بريطانية تابعة لشركة (الخطوط الجوية البريطانية لما وراء البحار). اختار الفدائيون طائرة ذات أربعة محرّكات نفّاثة من طراز (دي سي ـ ١٠) من شركة BOAC ستغادر مطار بومباي (الهند) صباح اليوم التالي، أي ١٩٧٠/٩/٩ باتجاه لندن عبر البحرين وبيروت.

هبطت الطائرة بأمان في البحرين الساعة العاشرة والنصف صباحاً، وهنا صعد إليها ثلاثة ركّاب، وأقلعت بعد ذلك. يطلق على قائد مجموعة التنفيذ اسم (حسن)، وقد اتّجه جسن بعد نصف ساعة إلى دورة المياه، ثمَّ خرج حاملاً

مسدساً، واتجه شريكه الأول إلى غرفة قيادة الطائرة وتولى سلطة إعطاء الأوامر هناك، أعلم الكابتن <<سيريل غولبورن>> الركاب أنَّ الطائرة تحت سيطرة الفدائيين.

بعد ساعة ونصف، هبطت الطائرة في بيروت لإعادة التزوّد بالوقود والإقلاع من جديد، وحسب أوامر (حسن)، حلّقت فوق تل أبيب. ظنّ الطيار أنَّ الخاطفين سيهبطون في تل أبيب للتحدي، ولكن الأوامر جاءت: (انطلق إلى مطار الثورة).

وهكذا استقبل مطار الثورة ـ بعد طول هجران ـ ثلاث طائرات مخطوفة دفعة واحدة.

المفاوضات:

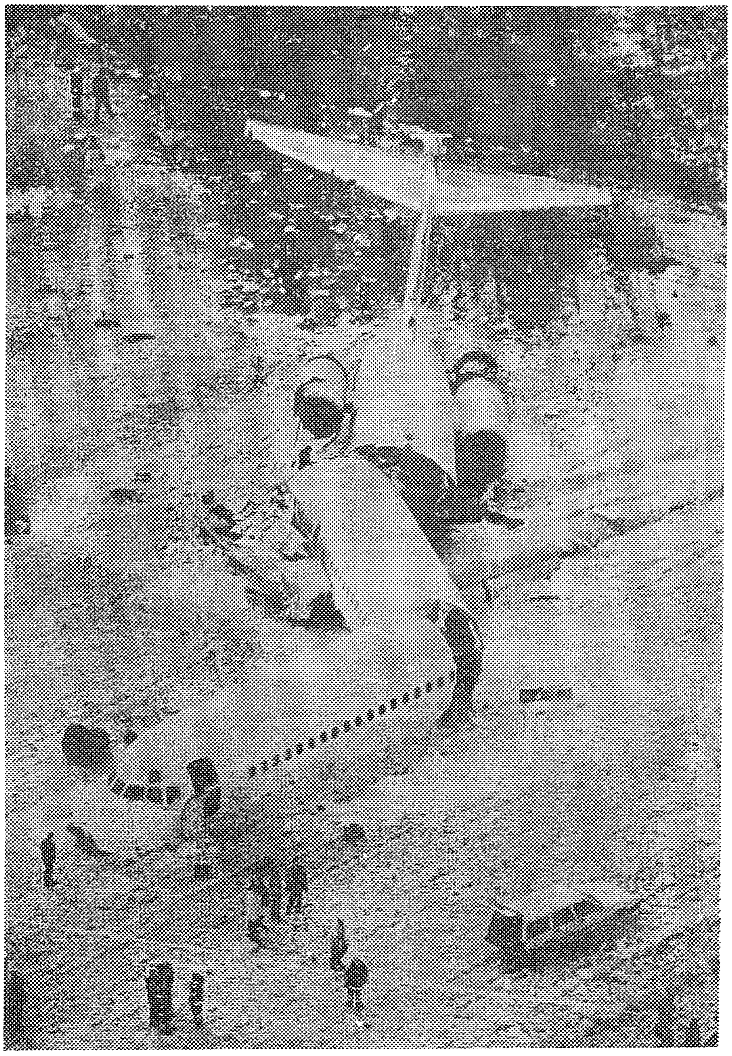
طلب الفدائيون إطلاق سراح الأسيرة <<ليلى خالد>> وجثة الشهيد عبد المحسن مقابل ٥٢ رهينة بريطانية تركب طائرة شركة BOAC، بينما سمح للركّاب من الجنسيات الأخرى بمغادرة الطائرة، وقامت منظمة الهلال الأحمر الفلسطيني بواجباتها، فجلبت الدواء للمرضى والحليب للأطفال والماء والغذاء للجميع.

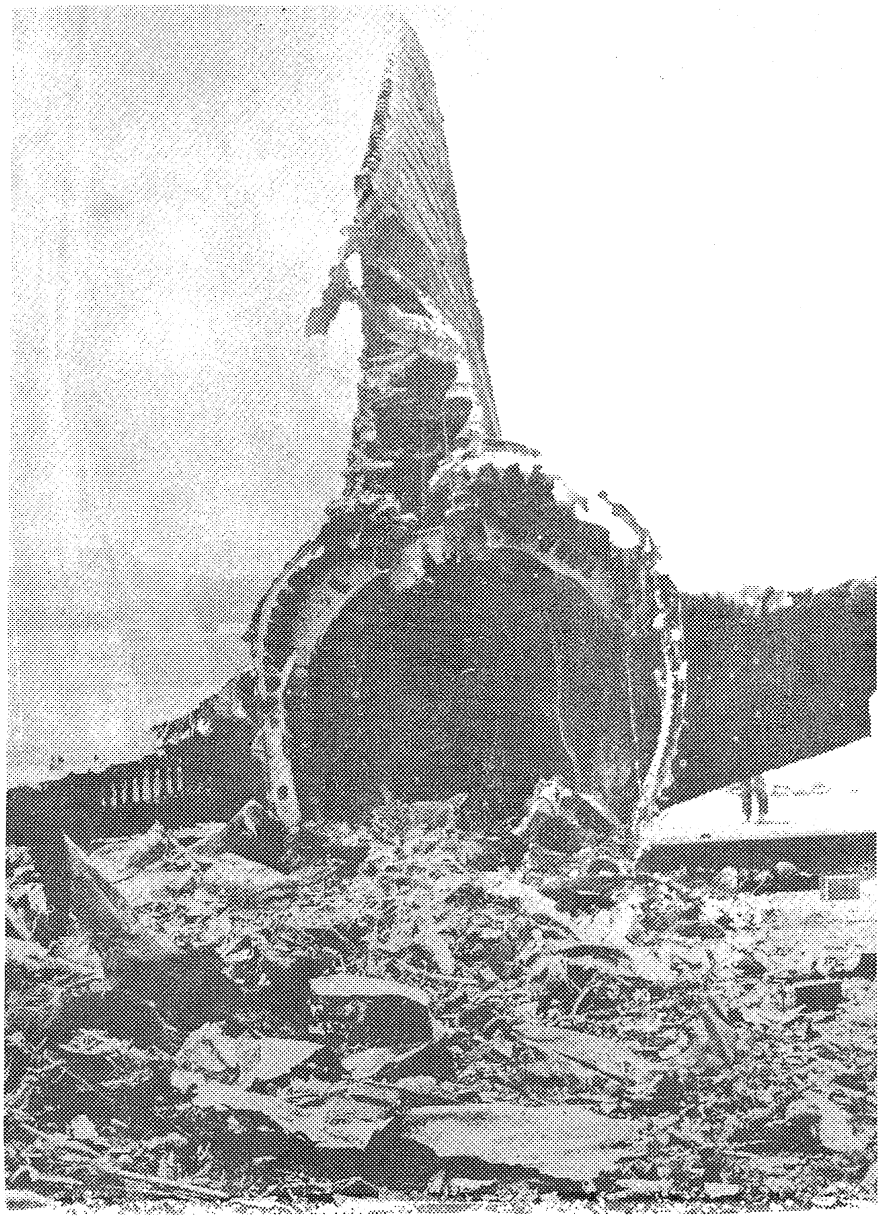
أعلنت الحكومة السويسرية يوم ١٩٧٠/٩/٧ استعدادها لإطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين الثلاثة من معتقلاتها، كما أعلنت حكومة بون (ألمانيا الغربية) استعدادها لإطلاق سراح أسيرين فلسطينيين، لكن المفاوضات فشلت لأن حكومة لندن رفضت إطلاق سراح الأسيرة <<ليلى خالد>> وجثة الشهيد، مع أن عدد الرهائن ٣٠٠، وبدلاً من التعاون، جعلت حكومة لندن برئاسة <<إدوارد

هيث>> مجلس الأمن يصدر قراراً يدعو إلى إطلاق سراح الرهائن ولا يدعو إلى إطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين، وهنا طالبت الجبهة الشعبية إسرائيل بإطلاق سراح عدّة فلسطينيين يقبعون في أقبية مخابراتها.

فريق أزمات غربي:

أطلقت الجبهة الشعبية سراح النساء والأطفال، ولكن فريق أزمات غربياً





حطام الطائرة بعد تفجيرها

تشكّل من أمريكيين وإنكليز وألمان غربيين وسويسريين، واجتمع الفريق في بيرن (سويسرا) ليلة ١٠/٩/١٩٧٠ وهو الموعد النهائي الذي حدّدته الجبهة الشعبية قبل أن تمدّده ثلاثة أيام أخرى أملاً في حقن الدماء.

انتشرت في الأجواء روائح مؤامرة تدبّر في الظلام فتمّ تفجير الطائرات الثلاث دفعة واحدة بعد إخلائها من الركاب، وأُجهضت المؤامرة.

وفي خطوة سلمية ثانية، أطلقت الجبهة الشعبية سراح جميع الرهائن، عدا /٥٦/ منهم.

وفي ١٦ أيلول سيبتمبر ١٩٧٠ بدأت معارك أيلول الأسود، وحرّك الرئيس الأمريكي <<نكسون>> الأسطول السادس المرابط في البحر المتوسط، وتدخّل جمال عبد الناصر (مصر) لإطلاق سراح الرهائن يوم ٢٦/٩/١٩٧٠، بالمقابل؛ أُطلق سراح <<ليلى خالد>>، حيث صعدت الطائرة المتجهة إلى ميونيخ مع جثة الفدائي الآخر، وفي ميونيخ صعد الطائرة الأسرى الفلسطينيون الثلاثة لدى ألمانيا، ثم هبطت في زيوريخ ليصعد الطائرة الأسرى لدى سويسرا، واتجه الفدائيون السبعة إلى القاهرة حيث كانت تجري مراسم دفن جمال عبد الناصر الذي مات يوم ٢٨/٩/١٩٧٠.

وهكذا انتهت عملية (أبو غزالة).

اعترافات <<ليلى خالد>>:

تعيش ليلى خالد الآن في المكان المناسب للمرأة، فهي في بيت زوجها الطبيب فايز رشيد، وولد لها (بدر) عام ١٩٨٢، و(بشار) عام ١٩٨٥، وتستيقظ باكراً

كلّ صباح لتشرف على امبراطوريتها الحقيقية لتقوم بأعظم وظيفة للمرأة: رعاية شؤون الأسرة والأولاد. وعندما تُسأل عن سبب خطف الطائرات تقول:

لقد أردنا أن يسمع العالم عن قضية فلسطين بعد أن ظلَّ يتجاهلها ويصدر قرارات ميّتة في مجلس الأمن. لقد حافظنا على سلامة جميع ركاب الطائرات التي خطفناها، وعبّر طيار بريطاني عن ذلك بقوله عن الفدائيين:

(They are honorable men إنهم رجال شرفاء).

وتقول ليلى: قبل خطف الطائرات، كان العالم يعدُّنا مجرد لاجئين ويرسل لنا كمية من الخيام والطحين والسكر والملابس المستعملة، كان الغرب يعمل على إسكاتنا ببساطة.

العالم لم يسمع صراخنا في الخيام، ولكنه سمع نداءنا في الطائرات، وعشنا حتى حرب حزيران ١٩٦٧ في حالة أمل بأن يعيدنا الآخرون إلى فلسطين، ولكن الحق لا يعود إلا بأيدي أصحابه.

لسنا إرهابيين كما يسمّينا الغرب، فنحن لم نسفك قطرة دم واحدة أثناء خطف الطائرات، إن نضال الشعوب ليس إرهاباً، إنّه قتال من أجل الحرية.

لقد سألني المحقق عندما أسرني الإنكليز عن طريقة اجتيازي نقطة التفتيش ووصولي إلى الطائرة دون أن تكتشف أسلحتي، ورفضت الكشف عن الأسلوب، وقلت له: لديكم علماؤكم ولدينا علماؤنا، والحرب بيننا حرب علمية أيضاً.

بعد سبتمبر أيلول ١٩٧٠، قررت الجبهة الشعبية إيقاف عمليات خطف الطائرات لأن الهدف المطلوب تمّ تحقيقه، وبدأت تتعقب العدو في أماكن أخرى.

الفصل الخامس

نوريغا: أأسير أم سجين؟
عملية (المبدأ)

كان الفريق <<نورييغا>> دكتاتوراً، إلى جانب كونه ملكاً غير متوّج لدنيا المخدرات. لقد ظلت حقيقته غامضة طالما ظلّت الولايات المتحدة تدعمه وتلمّع صورته، ولكن عندما بدأ يعصي الأوامر ويتحدّى العرّاب، بدأت قصة سقوطه. وفي النهاية قامت الولايات المتحدة بغزو رسمي ضد <<باناما>> كي تزيح نورييغا عن سدّة الحكم، وعندما وقعت <<باناما>> تحت الاحتلال، ظلّت مهمة إمساك الفريق صعبة.. ترى كيف سقط هذا الشخص أخيراً.

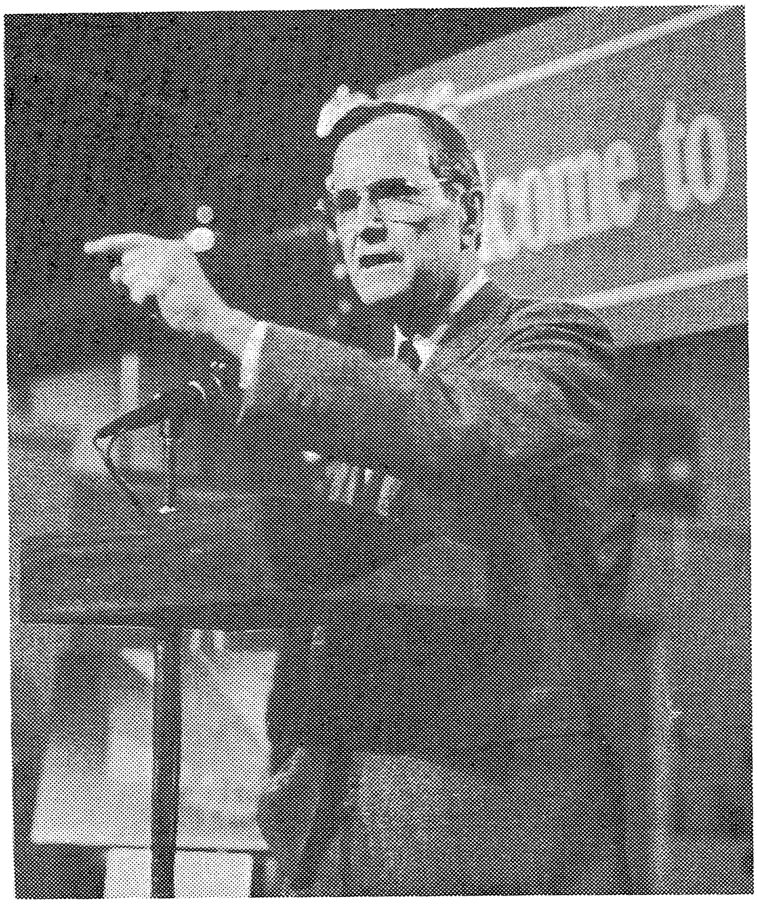
الفريق <<مانويل أنتونيو نورييغا>>، دكتاتور عسكري يحكم <<باناما>>، وكان في الماضي عميلاً لمصلحة المخابرات المركزية CIA، وقد عمل في التهريب، وبالتحديد: تهريب المخدّرات.

ومنذ عام ١٩٧٢، وضّح أحد المسؤولين الأمريكـان أنّـه إذا رغبـت الحكومـة الأمريكية حقيقة في قطع الطريق علـى تجـارة المخـدرات المـارّة عـبر <<بانامـا>> باتجاه الولايات المتحدة؛ فالواجب يقضي بقتل نوريبغـا. ويومهـا رفضـت الحكومـة الاقتراح، بل إنها ــ وبعـد أيـام قليلـة ــ اعتمـدت الفريـق <<نوريبغـا>> كعميـل للمخابرات المركزية، وهكذا كانت العلاقات طيبة جـداً بـين الفريـق و<<جـورج بـوش>> الـذي كـان مديـراً لوكالـة المخـابرات المركزيـة عـام ١٩٧٦. وفي عـام ١٩٨٣ صـار <<جـورج بـوش>> نائبـاً لرئيـس الولايـات المتحـدة <<رونـالد ريغان>>، وفي تلك الفترة كلّف بوش <<نوريبغا>> بنقـل رسـالة إلى <<فيـدل كاسـترو>> (كوبـا) قبـل ثـلاث سـاعات مـن قيـام الجيـش الأمريكـي بغـزو <<غرينـادا>>، وقـالت الرسـالة إنـه في حـال قيـام كوبـا بمحاولـة عرقلـة الغـزو الأمريكي، فستتحمل كوبا عواقب وخيمة، ومن هذا تتضح العلاقة الحميمة الدافئة القائمة بين الفريق <<نوريبغا>> والرئيس <<رونالد ريغان>>.

ظـلّ الرئيـس <<ريغـان>> حتـى عـام ١٩٨٧ راضيـاً عـن <<نوريبغـا>> وتعاونه مع المصالح الأمريكيـة، ولكـن الوضـع تغيّر عـام ١٩٨٨ بشـكل جـذري، وأصـدرت مذكـرة مـن المدعـي العـام في فلوريـدا تتّهـم <<نوريبغـا>> بمسـاعدة عصابـات المخـدرات الكولومبيـة في تهريـب آلاف الأطنـان مـن الكوكـائين إلى الولايات المتحدة.

وفجأة، صـارت الولايـات المتحـدة تقـول إن <<نوريبغـا>> لا يحـترم القيـم الديمقراطية في <<باناما>>، وفجأة صار الرئيـس <<جـورج بـوش>> يتحـدث

عن الديمقراطية في هذه الدولة من دول أمريكا الوسطى، وصار <<بوش>> يلقـي المحاضرات عن الأخلاق والقيم.



جورج بوش مدير و كاله المخابرات المركزية، ثم رئيس الولايات المتحدة الذي حارب (نورييغا) رجل باناما القوي.

لم يفهم <<نورييغا>> مقاصد الإدارة الأمريكية ورغبتها في التخلّص منه، ولذلك دعا إلى إجراء انتخابات في أيار <<مايو>> ١٩٨٨، علقت الصحافة العالمية على الانتخابات بقولها: (إنّه سباق لا يشترك فيه سوى حصان واحد)، إذ هناك مرشح واحد فقط.

سمح <<نورييغا>> للمراقبين الأجانب أن يحضروا، وكان من بينهم الرئيس الأسبق <<جيمي كارتر>> ويقوموا بمراقبة سير الانتخابات المهزلة. ولكن الأحداث التالية برهنت على خطأ <<نورييغا>>؛ فقد قررت واشنطن أن دوره قد انتهى.

أذاع الرئيس الأمريكي الأسبق <<جيمي كارتر>> على العالم أنّ الانتخابات صوريّة وأن النتائج مرتبة سلفاً، وأنَّ العملية ليست أكثر من تمثيلية، وهنا طلب الرئيس <<جورج بوش>> من <<نورييغا>> التنحّي عن الحكم، فهو لم يعد قادراً على السيطرة على بلاده بما يكفي لحماية مصالح الولايات المتحدة، وبالتالي لم تعد واشنطن مهتمة ببقائه في الحكم.

حاول الفريق <<نورييغا>> التمرد على واشنطن، ولكن القرار كان نهائياً، وفي تشرين <<أكتوبر>> ١٩٨٩ جرت محاولة للانقلاب على <<نورييغا>>، وكان مصيرها الفشل. ولأنَّ المحاولة فشلت، فقد تخلّى <<جورج بوش>> عن قادتها وسحب الدعم الذي كان يقدمه لهم سابقاً. ثار بعضهم ضد <<بوش>> بسبب انعدام الوفاء، ولكنه ظل مستمراً مثل <<بلدوزر>>.

ظلت مسألة إقصاء <<نوريغا>> تؤرق <<بوش>>، و لم يكن مستعداً لخسارة هذا السباق معه، ولذلك أمر بإعداد خطة الغزو ضد <<باناما>>، وسمى العملية ـ ويا للتناقض ـ عملية المبدأ، وأي مبدأ هذا؟..

وفي يوم ١٩٧٩/١٢/١٧ كان <<بوش>> يستقبل مدعويه في حفلٍ مسائي دعا إليه خمسين من الأصدقاء والمقرّبين وأفراد العائلة، وبدا على الرئيس الابتهاج والسرور. وفور انقضاء السهرة؛ انضم إلى الرئيس رئيس أركان الجيوش الأمريكية الجنرال <<كولين باول>>، ووزير الدفاع <<ديك تشيني>>، ومستشار الرئيس للأمن القومي <<برنت سكروكرافت>> والناطق بلسان البيت الأبيض <<مارلين فيتزووتر>>.

تملك الغضبُ الرئيسَ لما سمعه من أخبار الاعتداء على ملازم بحرية أمريكي في باناما واغتصاب زوجته، وهنا قال الرئيس بوش: (هذا يكفي، يجب إنهاء هذا الولد)، وهنا وضع الرجال بين يدي الرئيس خيارين: إما عملية خاطفة لاختطاف <<نوريغا>>، وإما القيام بغزو رسمي علني.

رفض الرئيس الخيار الأول لأنه ـ في حال الفشل ـ سيعرض الولايات المتحدة وهيبتها للخزي، أما الخيار الثاني ــ وحسب شرح <<كولين باول>> رئيس الأركان ــ فيشتمل على مخاطرة وقوع إصابات وضحايا في أوساط القوات الأمريكية والقوات البانامية والمدنيين.

التفت الرئيس <<بوش>> وقال: هيا، دعونا ننفّذ هذا الغزو.

عملية الغزو:

تلقى البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية) الأوامر السرّية من الرئيس الأمريكي يوم الأحد لغزو <<باناما>> وإمساك <<نورييغا>> وإقامة حكومة بديلة مكانه، وطالبت الأوامر باستكمال الاستعدادات خلال ٣٦ ساعة، وبالفعل، بدأت يوم الثلاثاء طائرات النقل العسكري بالهبوط في القاعدة الجوية الأمريكية في هوارد (باناما) وكان الفارق الزمني بين طائرة وأخرى عشر دقائق فقط. أرادت الخطّة أن يكون عدد الجنود الأمريكيين متفوقاً على عدد القوات المسلحة البانامية حيث يمكن تطويقها بسرعة. كما أوكلت إلى وحدات أخرى مهمة حماية جميع السدود الهامة ومحطات توليد الطاقة في <<باناما>>.

بدأ الغزو عند منتصف ليل الثلاثاء ١٩/١٢/١٩٨٩، وقامت القوات المسلحة الأمريكية بإغلاق جميع المنافذ البحرية والجوية لضمان عدم تسلل <<نورييغا>>، كما سيطرت القوات على مطار <<بابتيللا>> حيث كانت طائرة نفاثة ترابط من أجل تأمين هروب <<نورييغا>>، وأثناء عملية السيطرة وتدمير الطائرة، قتل أربعة جنود مهاجمين، وكانت أولى الإصابات من الجانب الأمريكي.

وفي يوم ٢٠/١٢/١٩٨٩، قامت قوات الوحدات الخاصة (.T.F.B) بقصف مراكز إدارة الجيش باستعمال المدفعية والدبابات والسفن، وفي اليوم الثاني وصل عدد القوات المشاركة في الغزو إلى /٢٤٠٠٠/ جندي موزعين إلى عدّة ألوية حسب المهام الموكلة إليها.

في المرحلة التالية قام لواء الأطلسي من المهام الخاصة بتأمين حراسة النقاط الهامة من قناة باناما من جهة البحر الكاريبي، بما فيها سد <<مادن>> وشبكة توزيع التيار الكهربائي.

بعد ذلك بدأ الهجوم على تجمّعات الجيش البنامي المرابطة حول مطار <<توريجوس>> الدولي، ثم الهجوم على (جسر الأمريكان) وهو الجسر الذي يصل شمال أمريكا مع أمريكا الجنوبية، كما تمَّ في الوقت نفسه محاصرة قوات أخرى لمنع قيامها بالتحرك أو حماية الرئيس الفريق <<نورييغا>>.

قامت (كتائب الكرامة) البنامية في هذه اللحظات بأخذ عدد من الأمريكيين رهائن، ووصل عدد هؤلاء إلى أربعة وستين، وتمَّ احتجازهم في فندق <<ماريوت>>.

لم يعثر الأمريكيون على <<نورييغا>> في قصر الرئاسة، فقاموا بمحاصرة السفارات القائمة في مدينة <<باناما>> خوفاً من لجوء <<نورييغا>> إليها. وبعد ست ساعات من بدء الغزو، اقتحم الأمريكيون مقر إقامة <<نورييغا>> السري والمطلّ على المحيط الهادي، وكان <<نورييغا>> قد غادره قبل دقائق فقط.

الزعيم الجديد:

بعد الغزو بوقت قصير، قامت القوات الأمريكية باصطحاب (غويليرمو إيندارا) إلى القاعدة العسكرية الأمريكية في (فورت كليتون) ليقسم اليمين كرئيس جديد لباناما، ثم جُلب <<ريكاردو آرياس كالديرون>> و<<غوليمو

فـورد>>؛ وأقسـما اليمـين كنـائبين لـلرئيس، وظـل هـؤلاء الثلاثـة تحـت حمايـة الأمريكان ليقسما ثانيةً بعد يومين في قصر الرئاسة.

أما <<نورييغا>> فقد صار متخوّفاً منذ قيام المحاولة الانقلابية الفاشلة ضده، وبالتالي التزم إجراءات حيطة مكثفـة ليضمـن سـلامته الشـخصية، و لم يعـد يمضـي ليلتين متعاقبتين في مكان واحد، وصار حريصاً على عدم تناول الطعام إلا بإشراف إحدى القريبات.



نوريغا، رجل باناما القوي

وعندما وصلته أخبار هبوط الطائرات الأمريكية في القاعدة الجوية بفاصل عشر دقائق بين الواحدة والأخرى، أدرك أنه لن يتمكن من إنقاذ نظام حكمه، وصار همّه عدم الوقوع في أيدي الأمريكان. لقد اتخذ <<نوريغا>> في البداية من الطابق السابع عشر من فندق <<الهوليدي إنْ>> ملجأً له ولحراسه الشخصيين ونجح في إبقاء مكان تواجده سراً دفيناً مع بقائه في مدينة باناما، ولكن القوات البانامية بدأت تستسلم للغزاة شيئاً فشيئاً.

البحث عن اللجوء السياسي:

فكّر <<نوريغا>> في اللجوء إلى سفارة الفاتيكان، ولذلك اتجه إلى مستودع <<آيس كريم>> في الضواحي، ومن هناك اتصل بالمونسينيور <<خوزيه سيباستيان لابوا>>، السفير البابوي في <<باناما>>، وطلب <<نوريغا>> منحه ملجأ سياسياً، ووافق السفير على ذلك، وأرسل سيارته ليستقلها <<نوريغا>> من مخبئه وكانت تلك الأيام موسم عيد الميلاد، فلم يدرك الأمريكان ما حصل بسرعة. جاء <<نوريغا>> إلى السفارة البابوية وبصحبته أربعة مساعدين هم رؤساء شعبة الأمن السياسي، وقائد القوات الخاصة، ووزيرة الهجرة وزوجها. كان الجميع يحملون رشاشات عوزي، ولكن السفير طلب من الجميع التخلي عن أسلحتهم، فقد كان ينوي تحضير <<نوريغا>> نفسياً للاستسلام للغزاة الأمريكان، ولم يدرك <<نوريغا>> خدعة (خوزيه لابوا).

ترويض السبع:

أخبر <<لابوا>> الأمريكان بوجود <<نورييغا>> في سفارته، ثم وضع <<نورييغا>> في غرفة صغيرة جداً، مطلية باللون الأبيض، ولا تحتوي على شيء من الأثاث، وقد تعطّل تكييف الهواء فيها، وزجاج النافذة مكسور حيث لا يجرؤ <<نورييغا>> على النظر من خلالها، وحرمه من المشروبات، بينما بدأت قوات الغزو التي تحاصر السفارة ببث أخبار استسلام الجنود البانامیين بعد هروب القائد، وكان صوت مكبرات الصوت يلعلع في أذن <<نورييغا>>، بل إن السفير وضع اثنين من الدبلوماسيين خلف باب الحجرة ليتحدثا طول الوقت عن مصير دكتاتور نيكاراغوا <<أناستاسيو سوموزا>> الذي تخلّت عنه واشنطن ومات في المنفى.. وليزيد الطين بلة، جاء السفير بنسخة من الكتاب المقدس وأعطاه لنورييغا ليقرأ...

وفي اليوم الرابع، أفهم السفير <<نورييغا>> أنه سيسمح للقوات الأمريكية باقتحام السفارة إذا شعر هؤلاء أن السفارة رهينة في يد رجال <<نورييغا>>، وفهم <<نورييغا>> قصد السفير؛ فالأمر بيد الأمريكان، وهم فقط القادرون على تحديد إن كانت السفارة رهينة أم لا.. وهذا يعني أنَّ السفير تآمر عليه.. وفي الوقت نفسه.. حُرم <<نورييغا>> من إجراء أي مكالمة هاتفية.

وفي اليوم التالي، دعا السفير <<نورييغا>> إلى مائدة ليلة رأس السنة، وقرأ عليه نص رسالة كتبها الأساقفة الكاثوليك وأرسلوها إلى بابا الفاتيكان جون بول الثاني ويصفون فيها <<نورييغا>> بالمجرم.

في يوم ١٩٩٠/١/٢، قام <<لابوا>> بإخبار <<نورييغـا>> أنـه قـد يقبـل اقـتراح الأمريكـان بـأن ينتقـل موظفـو السـفارة بشـكل مؤقـت إلى مبنـى المدرسـة الكاثوليكية في الشارع المجاور، صُعق <<نورييغا>> وقتها لسماع هذا الكلام.

وفي ظهيرة يوم ١٩٩٠/١/٣، نظمت مؤسسة (محبي الحرّية) البانامية مظـاهرة جمعـت ١٥٠٠٠ إنسـان حـول السـفارة البابويـة، وصـار الجميـع يهتفـون (المـوت للدكتاتور)، وحطموا منزله، وهنا طلب <<نورييغا>> السماح لـه بالاتصـال مـع دول أخرى للحصول على حق اللجوء السياسي، ولكن السـفير البـابوي منعـه مـن ذلك، بل أفهمه عدم إمكانية الهـروب مـن مبنـى السـفارة، وأنّ الولايـات المتحـدة تنوي معاملته كمجرم [مطلوب للعدالة].

طلب <<نورييغا>> لحظتها من السفير البابوي إبلاغ الأمريكان أنه يستسلم بشرط السماح لزوجته وبناته الثـلاث الانتقـال إلى منفـى آمـن، ولكـن الأمريكـان رفضوا الطلب.

نورييغا أسيراً:

قرر <<نورييغا>> الاستسلام للغـزاة، وحـدَّد موعـداً لذلـك، وهـو السـاعة الخامسـة والنصـف مـن مسـاء الأربعـاء، يــوم ١٩٩٠/١/٣، وتمَّ إبــلاغ النبـأ إلى <<جورج بوش>> في البيت الأبيض.

وفي الساعة المحددة، خرج <<نورييغا>> من غرفته مرتديـاً زيـه العسـكري، والرتبة العسكرية فوق كتفيه: إنه برتبـة فريـق، ولكـن الحكومـة الجديـدة أصـدرت

قـراراً فوريـاً بتجريـده مـن رتبتـه العسـكرية، وعندمـا خـرج <<نورييغـا>> أدى مساعدوه التحية العسكرية النظامية له.

وصل <<نورييغا>> إلى البوابة الخارجية للسفارة البابوية بصحبة المونسـينيور <<لابوا>>، وهناك استسلم لقائد القوات الأمريكيـة المرابطـة في بانامـا؛ الجـنرال <<مارك سيزنيروس>>. ومن هناك، حملته طـائرة هليوكوبـتر (مـن طـراز الصقـر الأسود) لينقل إلى فلوريدا، حيث أعدّ له ملفّ جنائي في شعبة تهريب المخدرات.

وعندما أقلعـت الطـائرة باتجـاه فلوريـدا، اندفعـت الدمـوع مـن عيـني الفريـق <<نورييغا>> الذي وصفه مجلس الشـعب البانـامي قبـل أيـام بأنّـه القـائد العظيـم للأمّة.

وفي يوم ١٩٩٠/٧/٤، تمت محاكمة <<نورييغا>> وأعطـي الرقـم: السـجين الفدرالي <<٤١٥٨٦٠>> إنها حادثة ليس لها سابقة في التـاريخ: أن تقـوم دولـة بغزو دولة أخرى، ثم تأخذ الرئيس الأسير إلى السجن باعتباره مجرمـاً وليـس أسـير حرب..

تهامست وكالات الأنباء حول صفقـة مـع <<نورييغـا>> لشـراء صمتـه... ومن يدري ماذا يحدث لو تكلّم بكل ما يعرف...

الفصل السادس

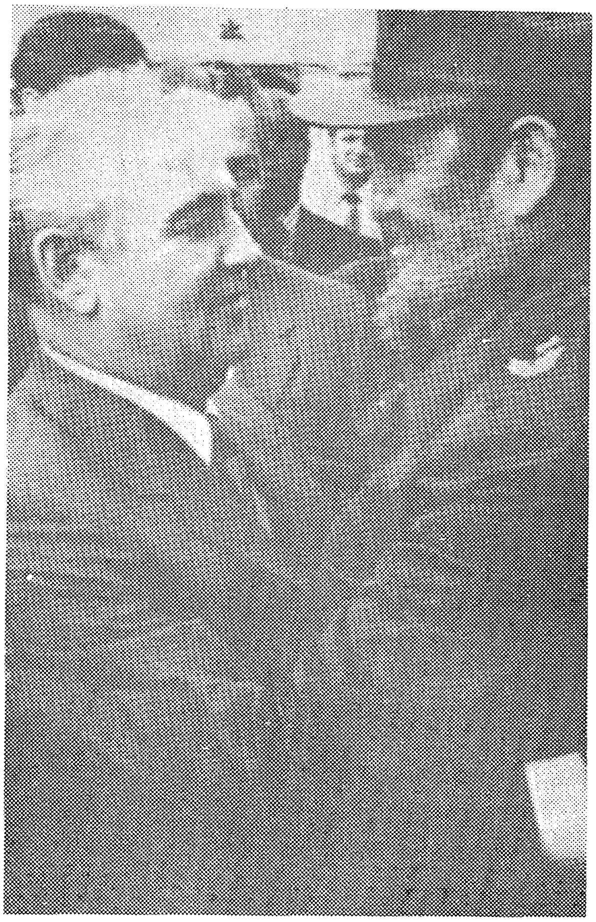
عملية خليج الخنازير

وقفت الولايات المتحدة كعدوٍّ مرير في مواجهة الشيوعية ولم توفر أيّ فرصة لتوجيه الضربات إليها، وفجأة وصل (فيدل كاسترو) إلى سُدَّة الحكم في كوبا رافعاً لواء الشيوعية في تلك الجزيرة التي لا يفصل بينها وبين الولايات المتحدة سوى مسافة ٧٠ ميلاً ونشأت كراهية تشبه الكراهية الموجودة لدى الكلب ضد القطط.

انشغلت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ليل نهار بالتخطيط لتصفية كاسترو؛ ولكنها فشلت المرة تلو الأخرى، وخاصة في عملية الإنزال والغزو العلني المسماة بعملية خليج الخنازير حيث واجهت واشنطن فشلاً ذريعاً.

ما هي الأسباب التي أدّت إلى فشل هذه العملية؟..

كُلِّفت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) باقتلاع الحكم الشيوعي القائم في كوبا؛ وتصفية زعيمه فيدل كاسترو، وصدرت التعليمات من الرئيس الأمريكي <<آيزنهاور>> شخصياً.



الزعيم الكوبي فيدل كاسترو يعانق غورباتشوف

كان في الولايات المتحدة عـدد كبير من المنفيين الكوبيين الذين فرّوا من بلادهم بسبب معارضتهم لكاسترو وللحكم الشيوعي؛ وبحثوا عن ملجأٍ لهم في الولايات المتحدة. وشكّل هؤلاء اللاجئون (الجبهة الديمقراطية الثورية) المعادية لكاسترو، وطلبوا من واشنطن المعونة الفعالة على شكل تدريب عسكري وتجهيزات كافية للقتال ضد كاسترو ونظامه. وفي الوقت ذاته قررت المخابرات المركزية الاستفادة من هذه الجبهة المعادية لكاسترو من أجل تحطيم هذا الزعيم الشيوعي.



الكوبيون في حالة استعداد للتصدي ضد الغزاة في عملية خليج الخنازير

اجتمع ممثلون عن الجبهة وعن المخابرات المركزية سراً في أحد أجنحة فندق الكومودور (نيويورك)، وتوصلوا إلى اتفاقية لغزو كوبا ينفذها المنفيون الكوبيون بمساعدة التجهيزات الأمريكية.

بدأت تدريبات الطيران على طائرات /بي٢٦/ التي شاركت في الحرب العالمية الثانية، وتبيّن أنَّ الطيارين الكوبيين لا يملكون الكفاءة أو الأهلية لقيادتها، ولذلك كُلِّف الحرس الوطني التابع لقاعدة <<آلاباما>> بقيادة الميجور جنرال <<

دوستر>> بتدريب الطيارين على القصف والإنزال الجوي، وبدأ اختيار الملاّحين والطيارين وعاملي اللاسلكي في قاعدة <<برمنغهام>> الجوّية، وهنا ظهرت ضرورة تجنيد طيارين مدنيين مقابل ٢٥٠٠ دولار كراتب شهري؛ إضافة إلى ١٥٠٠٠ دولار لتغطية بوليصة تأمين على الحياة (دون الإشارة إلى خوض عمليات عسكرية)، وحصل هؤلاء على وعود بدفع مبلغ ١٠٠٠ دولار شهرياً لعائلة من يموت أثناء الغزو.

طار الرجال إلى مدينة ميامي الأمريكية يوم ١٩٦١/١/٢٧، بعد أن تدرب بعضهم ـ مثل الطيار <<بك بيرسونز>> ـ على الهبوط الليلي على مدرجات قصيرة بطائرات /دي سي ـ ٤/ في فلوريدا، وذلك تمهيداً للهبوط في كوبا فوق مطارات صغيرة ستتم إقامتها على وجه السرعة قريباً من الشواطئ.

كما تدرّب آخرون على عمليات القتال الجوي بطائرات /بي٢٦/؛ وعمليات النقل الجوي بطائرات /سي٤٦/ التي ستحمل الرجال المعارضين لكاسترو، ولكن من أحد مطارات <<غواتيمالا>> بعد التفاهم مع سفير <<غواتيمالا>> في <<واشنطن>>.

تُعدُّ ميامي أقرب مدينة أمريكية على شاطئ المحيط الأطلسي قبالة كوبا، وقد صار المعسكر فيها جاهزاً تحت إدارة وكالة المخابرات المركزية، وهناك استمرت التدريبات على عملية الغزو وعمليات حرب العصابات [كرّ ـ و ـ فرّ] في أعماق الغابات. وتجمّع منفيون كثيرون في غواتيمالا انتظاراً لساعة الصفر، ولكن الرئيس <<آيزنهاور>> غادر البيت الأبيض وصار <<جون كينيدي>> رئيساً للولايات

المتحدة. شعر القائمون على العملية بالقلق، ثم تبيّن لهم أنّ تغيّر الرئيس لن يؤثّر على خطّة غزو كوبا والتدريبات القائمة وسط جو من السرّية المطلقة.

الانتقال إلى قاعدة الانطلاق:

عندما اكتملت التدريبات انتقل المعسكر برجاله ومعدّاته إلى قاعدة الانطلاق؛ وهي معسكر حربي أمريكي قائم في <<نيكاراغوا>> المطلّة على البحر الكاريبي، وكان مدرج طيران المعسكر ضيّقاً، ومع ذلك استقبل الكثير من الطائرات الموظّفة لعملية الغزو المرتقبة.

حرص المشرفون على إحاطة العملية بالسرية الكاملة، وحُظِر على الطيارين الأمريكيين والكوبيين التكلّم، وحفظت جداول ومخططات الطيران في عهدة ضبّاط الأمن، ولأنّ وكالة المخابرات المركزية تعلم أن مخابرات كاسترو استطاعت التغلغل وسط حركات مقاومة كاسترو، فقد أُبقيت خطط الغزو بعيدة عن حركة المقاومة السرية داخل كوبا.

اتجهت بعد ذلك مجموعات من المنفيين الكوبيين إلى ميناء مجهول واستقلت أربع سفن، وظلّت وجهة إبحارها سرية. وفي هذه الأثناء، قال الرئيس <<جون كينيدي>> في مؤتمر صحفي إن حكومته ستتأكد من عدم تورّط الأمريكيين في أي عمليات داخل كوبا، وسمعت قوات المنفيين الكوبيين ذلك التصريح من إذاعة (صوت أمريكا).

ساعة الصفر:

أبحرت السفن باتجاه شواطئ كوبا حاملة على ظهرها الجنود المنفيين المشاركين في الغزو، وبعد أربع ساعات تماماً، انطلقت أربع طائرات من طراز بي٢٦ وهي تحمل تحت أجنحتها رموز القوى الجوية الكوبية: نجمة وأشرطة زرقاء، والحروف الأولى من عبارة (سلاح الجو الكوبي). اتجهت الطائرات إلى مطاري <<سنتياغو>> و<<سان أنتونيو>> بقيادة طيارين كوبيين؛ واقتربت من أهدافها في الساعة السادسة من صباح يوم السبت، ولكن اثنتين منها سقطت ــ للأسف ــ بسبب طلقات المدفعية المضادة للطائرات.

وفي أحد مطارات فلوريدا، هبطت طائرتان لنقل الجنود، وأعلنت وزارة الهجرة الأمريكية أنَّ الطائرتين كوبيتا الهوية، وقد هرب بها طياراها هاربين من نظام حكم كاسترو. وتمكن هذا التصريح من خداع الصحافة، ولكنّه لم يخدع كاسترو الذي فهم اللعبة، وعرف أن عملية غزو واسعة النطاق على وشك الحدوث.

أُصيبت الإدارة الأمريكية بالذعر مع وصول الأخبار الأولى، وأمرت المشرفين على قاعدة <<غواتيمالا>> بالتوقف والانتظار حتى وصول تعليمات جديدة، وكان ذلك أكبر حماقة من الناحية الاستراتيجية في تلك اللحظة، لأن معظم طائرات سلاح الجو الكوبي كان متجمعاً في تلك الساعة في منطقة واحدة، وكان الطيارون الأمريكان واثقين من إمكانية قصف تلك الطائرات في هجمة مباغتة

تسبق في روعتها عملية قصف اليابان لميناء <<بيرل هاربور>> في الحرب العالمية الثانية.

وأثبت ذلك القرار خطأه أيضاً لأنّه حرم المنفيين الكوبيين (الذين تمّ إنزالهم على الشواطئ الكوبية) من التغطية الجوية الضرورية التي وعدوا بها. لقد نصّت الخطة على أن يبدأ الإنزال في منتصف ليل الأحد في منطقة <<باهيا دي كاشينوس>> [أي خليج الخنازير].

وبالفعل - وبعد منتصف الليل بعشرين دقيقة - قامت قوات الضفادع البشرية بإخلاء مناطق الإنزال من العوائق، وهبط ١٤٣٣ كوبياً من القوارب باتجاه الشاطئ وسيطروا على قرية صغيرة باسم <<غيرون بيش>>.

وخلال يوم كامل، سيطر هؤلاء على مساحة ٢٥ ميلاً؛ وياللحماقة، فقد صدرت إليهم الأوامر بالاستمرار في التقدم والتوغّل، مع انعدام وجود الدعم الجوّي، فقامت طائرات كاسترو في هذا الوقت بتدمير السفن التي حملت المقاتلين إلى نقاط الإنزال على الشواطئ الكوبية، وهذا معناه حرمان قوات الغزو من المؤن والذخائر والإمدادات الطبيّة.

ظلت القوات البرية تعتقد أنّ الطيران سيدمّر سلاح الجو الكوبي، ولذلك استمرت في التوغّل بكل ثقة وهي تجهل أن الولايات المتحدة قد تخلّت عنها، وأنّ الدبابات سوفييتية الصنع ومدافع <<الهاوزر>> تحاصرها، وخلال وقت قصير بدأت طائرات كاسترو تقوم بالقصف من ارتفاعات منخفضة، ووصلت عملية الغزو إلى الحضيض.

لم تدرك الإدارة الأمريكيـة في البيت الأبيـض حقيقـة مـا جـرى إلاّ في وقـت متأخّر، أي مساء يوم الإثنين، وهنـا قـرَّرت إرسـال الطيّـارين الكوبيـين إلى خليـج الخنازير في الصباح التالي.

وسبّب هذا القرار خيبة أمل لدى الطيارين الأمريكان الذين ظلوا يتدربون



الانزال في خليج الخنازير وتبدو جثث القتلى الى جانب حطام الطائرات

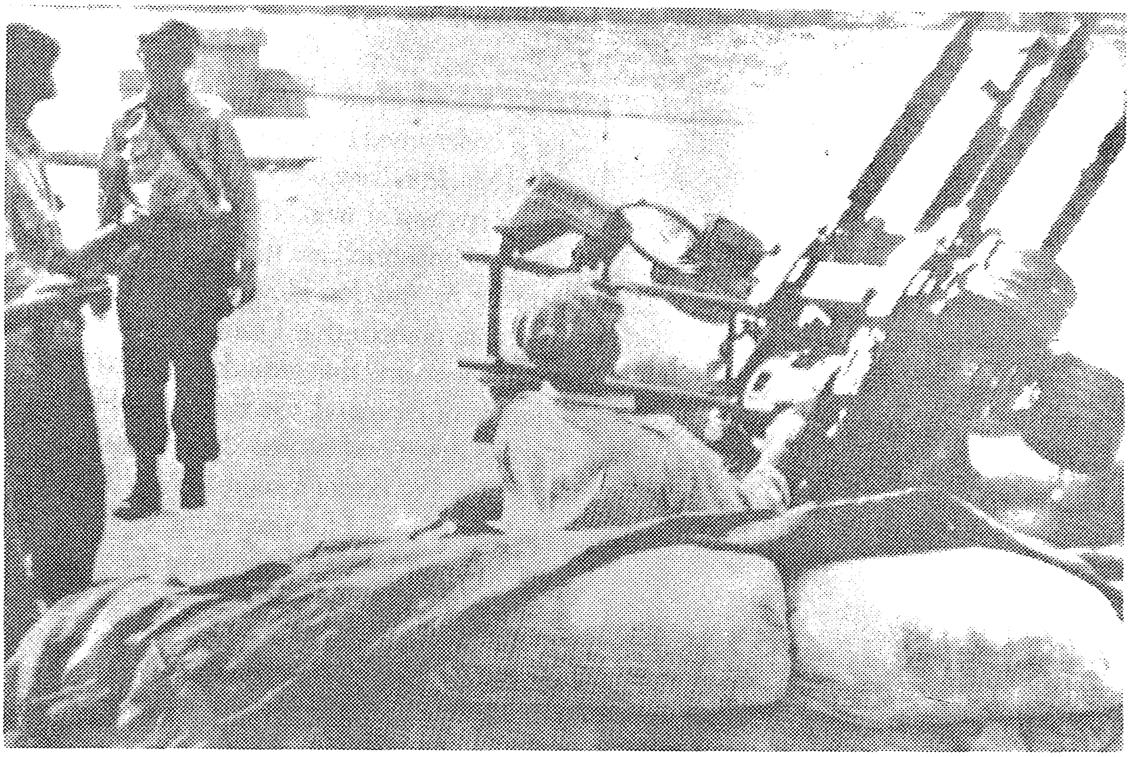


مجموعة من الارهابيين تقع في قبضة الجنود الكوبيين

على مدى عشرة أسابيع لقصف بلاد كاسترو، وقد عرفوا أنَّ الطيارين الكوبيين لن يحققوا الارتفاعات الصحيحة أثناء العملية؛ وأنهم لا يملكون خبرة في الصدام الجوي. وبالفعل، أسقطت المدفعية المضادة للطائرات قاذفتين، بينما تمكّنت طائرة شحن من الهبوط في <<غيرون>> وأنزلت حمولتها من الذخائر والمؤن، ثم عادت إلى نيكاراغوا حاملة معها تقريراً متشائماً عن فشل العملية، كما كان المقاتلون في

ذلك الوقت يرسلون إشارات اللاسلكي مستغيثين وطالبين الدعم الجوي وإمدادات الرجال والذخائر، بينما تقوم طائرات كاسترو بحصدهم.

ازدادت الحالة سوءاً في المرحلة التالية عندما أمرت الإدارة الأمريكية الطيارين الأمريكيين بتقديم الدعم الجوي إلى المنفيين؛ وتوجهت إثر ذلك ست طائرات أمريكية من طراز /بي٢٦/ مموّهة بشارات سلاح الجو الكوبي ومحمّلة بقنابل من وزن ٥٠٠ باوند، وقنابل حارقة من نوع <<نابالم>>، ومدافع من عيار /٥٠/،



ثوار كوبا يحتفلون بالانتصار بعد غزو خليج الخنازير



الرئيس الامريكي الشاب جون كينيدي الذي مات في حادث اغتيال عقب عملية خليج الخنازير

وصواريخ جو/ أرض. ولكن لسوء الحظ، لم تكن الطائرات مزودة بمدافع خلفية لضرب طائرات العدو التي تلاحقها من الخلف، كما ظهرت مشكلة تتعلّق بالوقود؛ فالرحلة من <<غواتيمالا>> تستغرق ١٤٤٠ ميلاً دون توقف، وبالتالي فالوقود لا يسمح بالتحليق فوق كوبا أكثر من ٣٠ دقيقة، ويجب بعدها أن تغادر متجهة إلى نيكاراغوا.

أقلعت الطائرة الساعة الثالثة عند الفجر، ووصلت إلى منطقة المعارك مع بزوغ ضوء الشمس، وأخذت تحلّق على ارتفاعات منخفضة فوق الأشجار تماماً وتزرع قنابلها هنا وهناك... وفي غمرة الحماس نسي الطيارون عنصر الزمن والوقود من أجل رحلة العودة.

وتمكنت الطائرات الكوبية من إسقاط قاذفة أمريكية مغيرة، بينما اتخذت الثانية طريق العودة فوق البحر مع إرسال نداءات استغاثة حول نقص الوقود والحاجة لإعادة التزوّد، أما الطائرة الثالثة فقد تمكنت من تنفيذ عمليات القذف والعودة للهبوط في <<نيكاراغوا>>. ولكن الطائرة الرابعة كانت سيئة الحظ، فقد انتهى مخزونها من الوقود، وأرسل الطيار نداءات استغاثة دون جدوى فسقطت الطائرة وظلت تذكاراً لدى نظام كاسترو. ونشرت الصحف الكوبية في اليوم التالي صور الزعيم أمام حطام الطائرة الأمريكية المعتدية، وشكّلت دليلاً فاضحاً على التورّط الأمريكي في العدوان.

مع كل الخسائر التي وقعت، ظلّت القاعدة المتقدّمة في <<نيكاراغوا>> جاهزة لإرسال طائرات أخرى، وضمنها طائرات تحمل غازات سامة وكيمياوية..

ولكن أجهزة الاتصال نقلت الرسالة التالية: [لقد فقدنا المطار]، وبعد ذلك فُقد الاتصال.. و لم يعد ممكناً الاتصال بأي شخص هناك.. وفي الساعة الواحدة ظهراً أنهي غزو خليج الخنازير، وكانت نهاية مخزية؛ فقد مات أربعة طيارين أمريكيين، وخرج كاسترو ليقود مظاهرات النصر في كوبا.

أكد الرئيس <<كينيدي>> على إنكار تورط واشنطن في عملية <<غزو خليج الخنازير>>، ورفض الاعتراف أن عملية الغزو برمّتها مُجيّرة لصالح واشنطن، أو كانت إدارتها الحقيقية على يد الولايات المتحدة. لم يستمر الرئيس <<كينيدي>> في الحكم طويلاً، وإنما راح ضحية حادث اغتيال شكّل واحداً من أغمض الأسرار في التاريخ.

الفصل السابع

عملية قطار مالاقا

تقع مجموعة جزر مالاقا تحت سيادة إندونيسيا منذ أزمان طويلة. أما إندونيسيا نفسها فقط ظلت واقعة تحت الاستعمار الهولندي عشرات السنين، وبعد الاستقلال؛ ظلت هولندة تعتقد بوجود حق لها بالتدخل، ووجود مصالح لها في هذه المستعمرة السابقة.

قامت مجموعة من سكان مالاقا بتأسيس منظمة هدفها استقلال (أو انفصال) مالاقا عن إندونيسيا؛ فصارت بالتالي فرقة إرهابية، وأرادت الفرقة أن تجعل الحكومة الهولندية تضغط على إندونيسيا. ولتحقيق هذا الهدف، خطف المالاقيون قطاراً وأخذوا ركابه رهائن.. فكيف قامت الحكومة الهولندية بتخليص الرهائن...

في عقد السبعينيات تلقّت هولندة العديد من الضربات القتالية على يد المالاقيين، وهم سكان جزر مالاقا الذين يشكّلون جزءاً من إندونيسيا، المستعمرة الهولندية سابقاً.

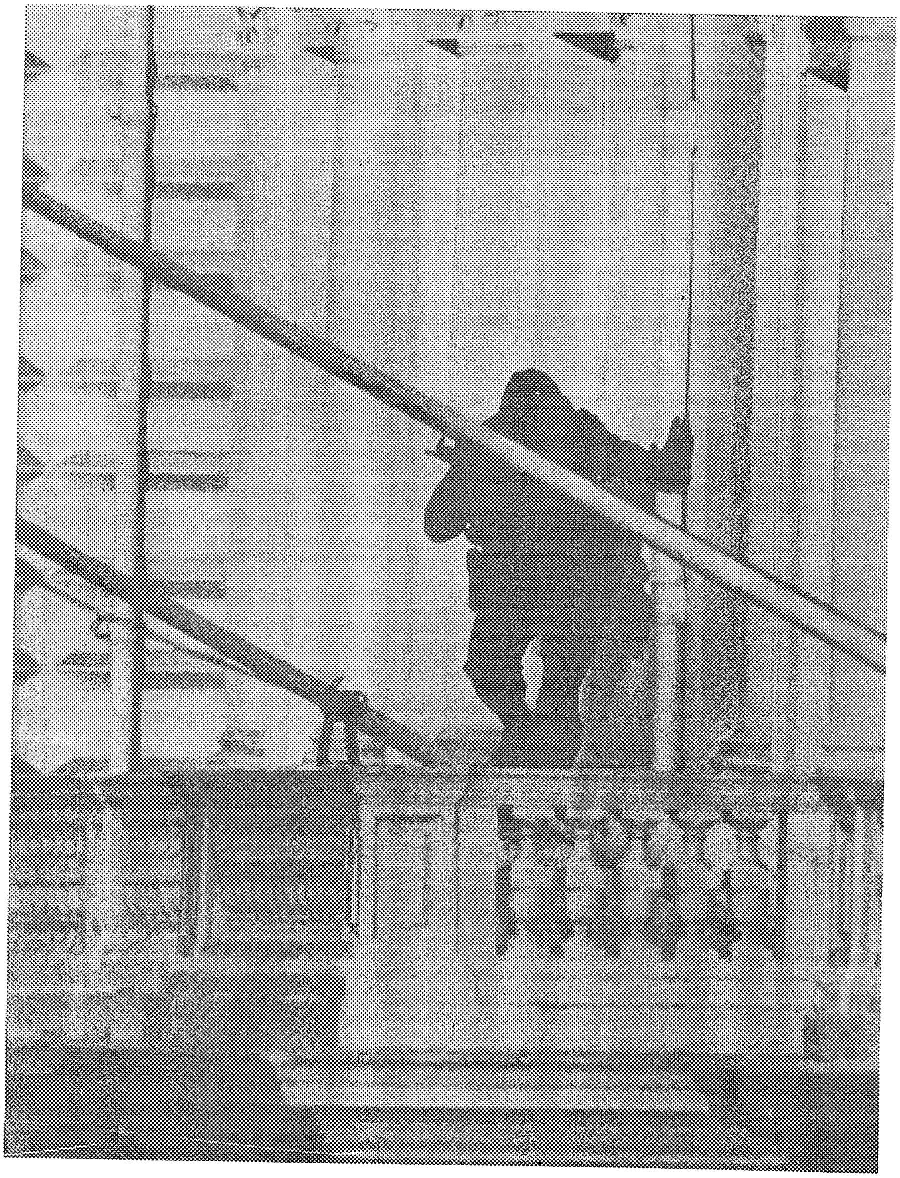
ينتمي الحركيّون النشطون المتورطون في تلك الأعمال الإرهابية إلى عائلات مالاقية تعيش في هولندة، وقد بدأوا حملتهم في الستينيّات للضغط في سبيل الحصول على الدعم من الحكومة الهولندية باتجاه تحقيق الانفصال عن الوطن الأم: إندونيسيا.

وقد قام الراديكاليون عام ١٩٧٣ بإطلاق الرصاص من مدفع رشاش باتجاه رجل شرطة فقتلوه خلال حصار السفارة الإندونيسية، كما قاموا بقتل الرهائن الثلاثة المحتجزين أثناء خطف أحد القطارات عام ١٩٧٦.

كانت تلك حوادث بسيطة، إلا أن هؤلاء الإرهابيين شنوا عام ١٩٧٧ أخطر هجوم لهم عندما قامت مجموعتان منهم باختطاف قطار هولندي، واحتلّوا مدرسة ابتدائية في عمليتين منفصلتين، ضمن تنسيق عملياتي منظم. لقد فاجأ الخاطفون السلطات، فقد شدّ هؤلاء حبل الطوارئ في القطار فأوقفه سائقوه خلال رحلته السريعة بين <<آسن>> و<<غرونينغن>> في يوم ١٩٧٧/٥/٢٣.

لدى توقف القطار السريع، صعد إليه خمسة رجال مقنّعين وأرغموا الركاب الذين بلغ عددهم ٤٩ راكباً على التجمع في عربة الدرجة الأولى، وبعد قليل ــ وعلى بعد كيلو مترات قليلة ـ قامت خلية أخرى من الإرهابيين باقتحام مدرسة ابتدائية، وجمعوا مئة وعشرة رهائن في غرفة واحدة، وكان عدد أفراد الخلية الإرهابية ستة أشخاص.

بعد أيام قليلة، أُطلق سراح العديد من التلاميذ بعد انتشار فيروس مرضي بينهم.



أحد رجال الكوماندوس أثناء تنفيذ الهجوم

تقدم الخاطفون بمطالب عديدة، منها السماح لهم بمغادرة هولندة بسلام وأمان بصحبة اثنين من رفاقهم المسجونين بسبب عدة جرائم، منها محاولة اغتيال الملكة جوليانا.

وقع المسؤولون الحكوميون في ورطة، فهم لا يستطيعون المغامرة بأرواح الرهائن خلال عملية الإنقاذ، وفي الوقت نفسه؛ لا يمكن تجاهل وإهمال خطورة الوضع، ولم يكن بدّ من قبول مطالب الخاطفين.

ومن أجل كسب المزيد من الوقت، بدأ الهولنديون المكلّفون بمعالجة الأزمة بالتفاوض مع الخاطفين، واستمرّت المفاوضات ثلاثة أسابيع، ولم يصل المتفاوضون إلى اتفاق. وبسبب طول المدة، بدأ الرأي العام الهولندي يفقد صبره تجاه عدم وجود مخرج من هذا المأزق. وانزعج الناس من الطريق المسدود الذي وصلت إليه المفاوضات، وبسبب ضغط الرأي العام، قرّرت السلطات الانتقال من العملية التفاوضية والنفسية إلى الإجراءات الفنّية، وصدرت الأوامر بإنقاذ الرهائن.

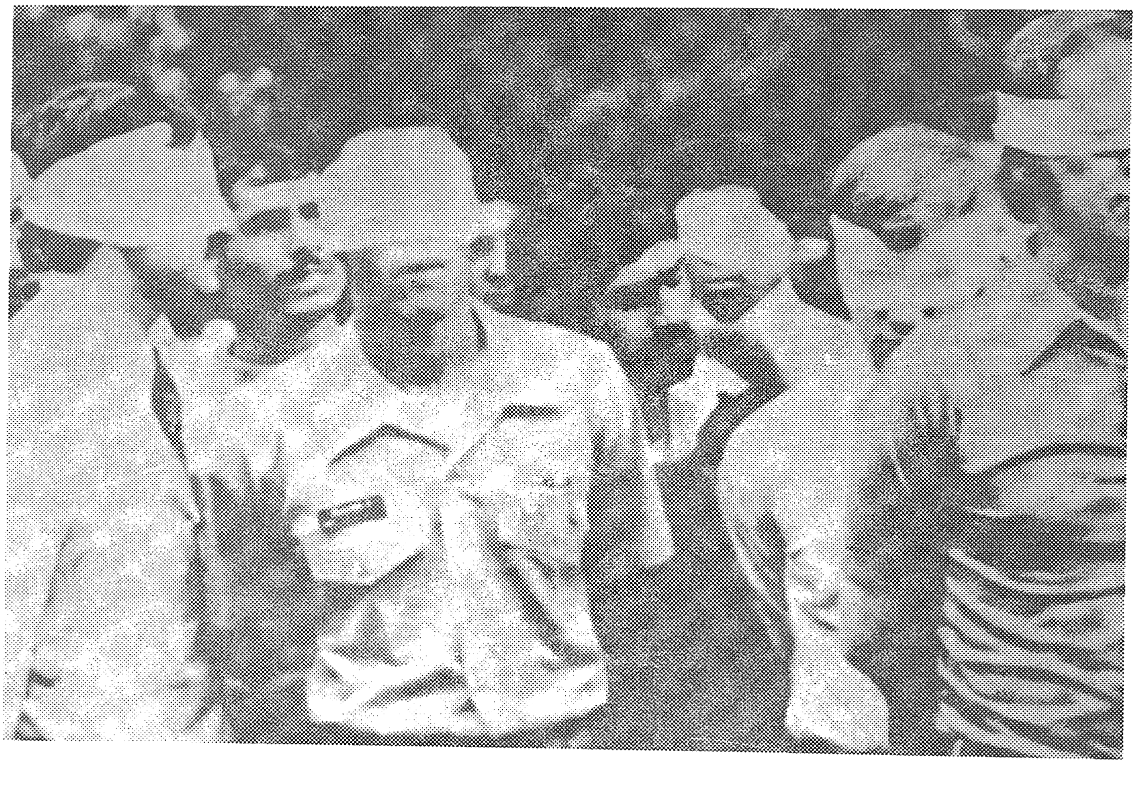


عدد من الرهائن وقد عصبت عيونهم

عرف المسؤولون أثناء وضع الخطّة ضرورة القيام بالهجوم على الموقعين في وقت واحد، وهذه النقطة الأهم، لأنك إنْ قمت بتحرير الرهائن من أحد الموقعين فقط، فإن الخاطفين في الموقع الآخر سيصبّون جام غضبهم وانتقامهم على رهائنهم. بدأت قوات مشاة البحرية الهولندية تدريبها مع أفراد من الشرطة العسكرية والمدنية.

وفي موقع التدريب، صار الرجال يمارسون عملية الانقضاض على قطار قرب إحدى القواعد العسكرية الجوية.

قام ثمانية رجال مدرّبين بالسباحة عبر قناة تتدفق قريباً من القطار، واقترب هؤلاء من العربة المطلوبة وألصقوا أجهزة حسّاسة لالتقاط الأصوات على جسم العربة.



استعملت السلطات من ضمن الأجهزة راداراتٍ حراريةً خاصة قادرة على تعقُّب اختلاف درجات الحرارة، وبالتالي أمكن متابعة حركات الخاطفين من خلال الأسلحة المعدنية التي يحملونها.

وهكذا صار الرجال المكلفون بعملية الإنقاذ على جاهزية كاملة قبل انطلاق الضوء الأخضر لبدء العملية. ومع انطلاق الضوء؛ كان الرجال يتحرّقون للاندفاع دون أن تضيع لحظة واحدة.. وكانوا يرتدون نظارات خاصة بالرؤية الليلية.

استمرت العملية عشرين دقيقة، وفي تلك الأثناء، كانت ست طائرات مقاتلة تكثّف من تحليقها فوق المنطقة لتشتيت انتباه الخاطفين وتشجيع الرهائن وبث روح الطمأنينة في نفوسهم.



الرهائن بعد اطلاق سراحهم

وحسب الخطة، انقضت الطائرات إلى ارتفاع منخفض جداً قريباً من الهدف، وفي اللحظة ذاتها اندفع رجال الكوماندوس وهم يطلقون الرصاص على المكان الذي ينام فيه الإرهابيون، لقد قتل نصف الخاطفين خلال الهجوم، كذلك مات اثنان من الرهائن برصاص الكوماندوس، وأصيب رجل آخر بجراح.

وبينما كان الهجوم منصباً على القطار، كانت خلية أخرى تشنّ هجومها على بناء المدرسة الابتدائية الذي كان محاصراً من جميع جهاته. لقد اندفعت ناقلة جنود مصفحة خلال أحد الجدران واندفع رجال الكوماندوس. وخلال عشر دقائق فقط، اعتُقل الخاطفون وتمّ تحرير الرهائن دون إصابة أحدهم بأذى.

الفصل الثامن

عملية (تخلصوا من الجهاد)

خليل الوزير هو أبـو جهـاد، لم يكـن رجـلاً كبقيـة الرجـال؛ فهـو ثـوروي صاحب التزام وصاحب إرادة فولاذية، وها هو يخطّط لتحرير وطنه ومسقط رأسه: فلسطين.

أما اليهود فقد اقتنعوا أنهم لا يستطيعون الإخلاد إلى الراحـة والنـوم مـلء العيون إلا بعد قتل خليل الوزير... وها هـم يقـررون قتلـه.. كيـف جـرت عمليـة اغتيال الوزير؟...

ولـد خليـل الوزيـر يـوم ١٠/١٠/١٩٣٥ في رام الله القريبـة مـن تـل أبيـب، وعندما أُعلن قيـام كيـان دولـة (إسرائيل) عـام ١٩٤٨، غـادر خليـل مدينتـه رام الله متجهاً إلى غزة، وكان عمره ثلاث عشرة سنة. كان مايزال في العقد الثاني من عمـره حين أسس الكوماندوس الفلسطيني لمقاومة هجمات الصهاينة في غزة.

وفي عام ١٩٥٦، انتسب صاحبنا إلى جامعة القـاهرة، ثـم أمضـى الفـترة بـين عامي ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠ في تعليم الطلبة الكويتيين والسعوديين، وفي الفترة ذاتها انطلق

في عملية نشر أول مجلة باسم (فلسطيننا)، وهي مجلة تبث روح الأمل والإلهام في نفوس الفلسطينيين.

منذ ولادته، كان خليل الوزير مقاتلاً من أجل الحرية، ففي عام ١٩٦١ انضم إلى المجاهدين الجزائريين لوضع نهاية للاحتلال الفرنسي هناك، ثم افتتح مكتباً لمنظمته الفلسطينية في الجزائر عام ١٩٦٢، وظلّ المكتب يعمل تحت قيادته حتى عام ١٩٦٤. في هذه الأثناء ظهرت إلى الوجود منظمة فتح[١]؛ الجناح العملياتي لمنظمة التحرير



الزعيم الفلسطيني (ابوجهاد) قبل أن يغتاله فريق كوماندوس صهيوني في تونس

---

(١) استقي اسم (فتح) من قوله تعالى (نصر من الله وفتح قريب).

الفلسطينية، قامت فتح بفضل التعاون بين خليل الوزير وياسر عرفات، وصار مسمّى الوزير: (معاون قائد قوات الثورة الفلسطينية). بدأت الثورة عام ١٩٦٥ من خلال عمليات (العاصفة) أي الجناح العسكري لحركة التحرير الوطني الفلسطيني/فتح.

يُعد الوزير واحداً من الشخصيات التي ثار حولها جدل كبير في العالم العربي، وقد أخرج من الأردن في السبعينيات ثم أُخرج من لبنان عام ١٩٨٢، ثم توجّه إلى تونس ليعيد تنظيم عملياته الفدائية، و لم يتسرب اليأس إلى قلبه، ولذلك قررّت اسرائيل اغتياله.

ذاع صيت الوزير بين الفلسطينين، خاصة الشباب منهم، وكان شديد الولاء لعرفات، وظل مسؤولاً عن عمليات الوفاق والمصالحة بين المنظمات الفلسطينية المتنافسة، وكان العقل المفكر وراء حركة المقاومة الفلسطينية المسماة بالانتفاضة في الأرض المحتلة.

أدرك حكّام إسرائيل تماماً حقيقة كون <<خليل الوزير>> الرجلَ الذي يقف وراء الانتفاضة في الأرض المحتلة، وأنذرت الاستخبارات في تقاريرها إلى القيادة أنّه يخطط للمرحلة الثانية من انتفاضة أطفال الحجارة في الضفة والقطاع، وستشتمل المرحلة الثانية على اختيار أهداف محدّدة من بين الجنرالات الصهاينة؛ ثم القيام باغتيالهم. بين الأدلة التي قدمتها الاستخبارات حديث صحفي للوزير مع مندوب صحيفة <<الأنباء>> الكويتية، قال فيه: إن المرحلة التالية من الانتفاضة ستخفف العبء النفسي الثقيل الذي تفرضه إسرائيل على الشعب الفلسطيني، وقال: (إن الأحداث القادمة سترفع معنويات شعبنا).

صدر القرار باغتيال خليل الوزير (أبو جهاد)، وكان الموساد الإسرائيلي قد أعد خطة الاغتيال بتعليمات من <<اسحق شامير>> رئيس الوزراء، ولكن التواريخ المختارة لم تحصل على موافقة مجلس الوزراء بسبب وجود احتمال وقوع خسائر بشرية في صفوف المجموعة التي ستنفذ الاغتيال.

تعرَّف الموساد أن الوزير هو المسؤول عن إرسال أول وحدة مقاتلة من فتح عام ١٩٦٥ لتدمير مشروع مائي أساسي، وأنه خطط لاحتلال فندق <<سافوي>> في تل أبيب عام ١٩٧٥ حيث وقع خمسة عشر قتيلاً، وخطط لهجوم بحري عام ١٩٧٨ خلَّف وراءه ٤٥ جثة ميتة بين حيفا وتل أبيب.

عملية الاغتيال:

في آخر يوم من شهر آذار <<مارس>> عام ١٩٨٨، أُعدت خطة الاغتيال التي حصلت على موافقة مجلس الوزراء المصغَّر، وظلّت الموساد تراقب تحركات أبي جهاد في تونس، وصارت تعرف تفاصيل عادات وتحركات وترتيبات معيشته، فقد كان منزله في قرية (سيدي بو سعيد) خارج مدينة تونس العاصمة، وكانت إجراءات الأمن حول منزله تدل على إهمال شديد.

قبل تنفيذ العملية بوقت طويل، نزل رجال الموساد في تونس، وكانوا من الناطقين باللغة العربية ويحملون جوازات سفر لبنانية مزوَّرة.

نصّت الخطة المؤامرة على تعاون الموساد مع الجيش، وتمّ اختيار عناصر التنفيذ بعناية فائقة من بين وحدات خاصة فائقة التدريب؛ وتعمل تحت إمرة رئيس الأركان مباشرة ومخصصة لتنفيذ عمليات خلف خطوطا الجبهة.

ارتدى الرجال العشرون الزِّي الرسمي الذي يرتديه عادة رجال الحرس الوطني التونسي، ثم ركبوا زورقاً حربياً إسرائيلياً أبحر بهم في مياه البحر المتوسط يوم ١٢/٤/١٩٨٨.

وعلى بعد أميال من الشاطئ التونسي استخدم رجال الكوماندوس قارباً مطاطياً أوصلهم إلى الشاطئ قبالة قرية <<سيدي بو سعيد>>. وهناك كان عملاء الموساد ينتظرونهم بسيارات مستأجرة من نوع فولكس فاكن ، ثم توجّهت السيارات إلى مقر إقامة <<خليل الوزير>>، وقد عثر على السيارات مهجورة على الشاطئ بعد حادث الاغتيال.

في السماء، وقبالة الشاطئ التونسي، كانت طائرة من طراز <<بوينغ ٧٠٧>> مزودة بأجهزة تشويش إلكترونية تطير في الوقت نفسه من أجل قيادة عملية الاغتيال، وكان قائد سلاح الجو على متنها. ظلّت الطائرة تؤمّن الاتصال بين الكوماندوس في تونس والقيادة في تل أبيب، وظلت أيضاً تشوّش على جميع وسائل الاتصالات في منطقة العمليات.

وصلت مجموعة الذئاب المسعورة إلى البيت الآمن، وقامت أولاً بقطع أسلاك الهاتف في الشارع المجاور.

في الساعة الواحدة والربع، من مساء يوم ١٦/٤/١٩٨٨، تسلل ثمانية من رجال الكوماندوس عبر الباب الخارجي، وظل البقية في الخارج. قتل المتسللون في طريقهم الجنائني أولاً، كان الوزير جالساً في مكتبه يقرأ التقارير القادمة من ميدان العمليات، وفجأة سمع أصواتاً غريبة، فامتشق مسدسه واتّجه إلى الباب. وما إن فتح

الوزير الباب حتى وجد ثمانية رجال يطلقون النار عليه، لقد استقرّت ستون طلقة في جسده، وأمام عيني زوجته (انتصار) وابنته (حنان)، لقد استُشهد <<أبو جهاد>>.

هرع القتلة إلى السيارات باتجاه الشاطئ وركبوا الزوارق المطاطية. وفي هذه الأثناء كان معاون رئيس الأركان <<يهودا باراك>> في انتظار ذئابه في الزورق الذي ينتظر على بعد ٢٠ ميلاً داخل البحر، وفي الساعة الرابعة فجراً وصل أفراد الكوماندوس إلى الزورق حيث استقبلهم <<باراك>>... وبعد أيام وصل الزورق والرجال إلى ميناء حيفا في فلسطين المحتلة.

جنازة القائد الشهيد:

كانت أمنية أبي جهاد أن يُدفن في قريته التي شهدت معركة شرسة بين الصهاينة والفلسطينيين خلال حرب الأيام الستة.

كان جدّه ذو الثمانين عاماً يعيش في دمشق، وكذلك والدته، وطلبوا أن يدفن جثمانه في دمشق. ووصل الجثمان إلى مشفى المواساة بدمشق ثم نقل إلى مقبرة الشهداء وسط جنازة مهيبة.

كان عمر أبي جهاد ٥٣ عاماً يوم استشهاده.. وكان قال قبل أيام من اغتياله: (أشعر أنني أعيش أكثر من عمري.. إنني أعيش عمراً إضافياً..) وحتى اللحظة الأخيرة لم يفقد أبو جهاد حلمه الغالي في فلسطين.. ولقد عاش على ذلك الأمل.. وظل يقول: (إنني ثوروي.. والثوروي يعيش على الأمل.. وأتمنى أن أعيش حتى أرى الحلم يتحقق...)..

الفصل التاسع

العملية: إسقاط [نظامُ المُلْك]

عندما حققت الهند استقلالها عام ١٩٤٧، حدثت مآسٍ كبيرة لم يسمع العالم عنها الشيء الكثير، فالاستعمار البريطاني خلّف من المشكلات وبؤر الأزمات ما يضمن استمرار الغليان في المنطقة، واليوم، تمّثل الهند دولة ذات أطماع توسعية كبرى باتجاه جيرانها الآمنين، وتبحث لنفسها عن دور إقليمي خاص في النظام العالمي، خاصة بعد أن امتلكت القنبلة النووية الهندوسية.

لقد تمكنت الهند عام ١٩٧٠ من إلحاق الهزيمة بالباكستان، وقسمت تلك الدولة إلى دولتين: باكستان وبانغلاديش، ولم تكن هذه المرة الوحيدة التي تعرَّض الجوار في المنطقة إلى آثار الطموحات الهندية.

عندما استقلت الهند، قبلت مئتا الولاية بمبدأ الانضمام إلى دولة الهند، ولكن ولاية (حيدر آباد) لم تقبل الانضواء تحت حكم هندوسي مركزي في نيودلهي... وهنا اتخذ <<ساردار باتيل>> نائب رئيس الوزراء الهندي قراراً بغزو حيدر آباد وضمّها إلى الهند باستخدام القوة.. ولكن لنستمع إلى القصة من بدايتها...

جاء السير كونراد كورفيلد «السكرتير السياسي للورد مونتاباتن نائب الملك والحاكم العام للهند» إلى (آصف شاه مير عثمان علي)، حاكم ولاية حيدر آباد، وأعلمه أنَّ بريطانيا ستخرج من الهند في حزيران عام ١٩٤٨... فقفز «آصف شاه» من كرسّيه مبتهجاً وهو يقول: (أخيراً سننال الحرية..).

ولكن لغرضٍ في نفس بريطانيا، تمّ تقديم موعد الاستقلال ليصبح ١٥/ آب «أغسطس»/١٩٤٧، وصدر إعلان رسمي بذلك من الحكومة البريطانية يوم ١٩٤٧/٦/٣ حسب صيغة اتفاقية تسوية بين المؤتمر الهندي العام وعصبة مسلمي الهند والحكومة البريطانية.

لقد أثبت «محمد علي جناح» شريك «غاندي» في الحملة الاستقلالية براعة وحنكة، فقد اختار الوقت المناسب ليعلن قيام دولة باكستان الإسلامية، وبالتالي يتخلص من الاستعمار البريطاني والهندوسي في وقت واحد، ولكن ولاية حيدر آباد تعرضت لكارثة سياسية وعسكرية قضت عليها بالبقاء تحت الحكم الهندي..

أعلن آصف شاه الذي يحمل لقب (نظام الملك) ـ وهو لقب حكّام حيدر آبار ويأتي بدوره السابعَ حسب التسلسل التاريخي ـ عن رفض إرسال مندوبين إلى المجلس الدستوري الهندي، كما أنَّ حيدر آباد تطالب بالاستقلال، وأعلن أن يوم ١٩٤٧/٨/١٥ سيكون يوم عيد استقلال حيدر آباد، وأنها ستكون عضواً في الكومنولث البريطاني.

أرسل (نظام الملك) وفداً برئاسة نائبه في (شاكاري) لمعالجة المسألة لدى اللورد «مونتاباتن» للحصول على الدعم في هذه القضية العادلة، ولكن الحاكم العام

(البريطاني) أوضح موقف الدولة البريطانية المستعمرة: لن نسمح لهذه الولاية أو غيرها بالحصول على حماية بريطانية، وطلب من الوفد إخبار (نظام الملك) بضرورة التسليم لدولة الهند.

لم تكن فكرة التسليم للهند مقبولة لدى حيدر آباد، كما لم يفكّر الهنود مطلقاً بالسماح لحيدر آباد بإعلان دولتها المستقلة إلى جوار الهند؛ فهناك أسباب تاريخية لهذين الموقفين:

يتحدث التاريخ عن الامبراطور المغولي المسلم الشهير (أورانجزيب)، الذي كان امبراطوراً في حيدر آباد، وبعد موته؛ وجدنا الامبراطور (فاروق شير) يرسل (مير قمر الدين) ابن قائد الجيوش الغازي <<فيروز خان جانغ>>، عام ١٧١٣ ليصبح حاكماً لمقاطعة <<ديكان>>، وأطلق عليه لقب (نظام الملك فيروز جانغ)، ثم أطلق عليه أيضاً لقب (آصف شاه). ولكن (نظام الملك) خان ثقة الامبراطور المغولي.

وبعد أنْ مات قمر الدين، استمر خلفاؤه في تولي حكم حيدر آباد، حتى عندما احتلّ الاستعمار الإنكليزي الهند عام ١٨٥٨ ظلّت السلالة تحكم حيدر آباد.

ولسوء حظ حيدر آباد، لم توجد حدود مشتركة بينها وبين باكستان، بل وجدت نفسها محاطة بولايات هندية من جميع الجهات، أما سكانها في تلك الفترة فقد وصل عددهم إلى ٦٠ مليون إنسان، على مساحة ٢٢ألف كيلو متر مربع.

عمل اللورد الإنكليزي <<مونتباتن>> على إلحاق حيدر آباد بالهند قبيل إعلان الاستقلال يوم ١٩٤٧/٨/١٥، ولكن حيدر آباد اتصلت مع باكستان.

وفي يوم ١٥/٨/١٩٤٧ حصلت الهند على استقلالها، ومع ذلك، صار اللورد <<مونتباتن>> أول حاكم عام للهند المستقلة، وقد أدى قسم الولاء للبلاد. وبعد مفاوضات طويلة، توصلت الهند وحيدر آباد إلى اتفاق ينص على إبقاء الوضع الراهن.

وفي يوم ٢٣/١١/١٩٤٧، وقع نظام الملك على الاتفاق الذي سيظل سارياً سنة كاملة. ونصّ الاتفاق أن تُبقي حكومة الهند وحكومة حيدر آباد على العلاقة نفسها التي كانت قائمة بين الحكومة البريطانية وحكومة نظام الملك في حيدر آباد قبل تاريخ ١٥/٨/١٩٤٧؛ فيما يخص شؤون الدفاع والشؤون الخارجية والنقل والاتصالات.

من حيث الظاهر، كان حكام الهند يتساهلون مع حيدر آباد، أما في الخفاء؛ فكانت خيوط المؤامرة تُحاك، وأخذ الهنود ينسقون علاقاتهم الدولية تمهيداً للانقضاض على نظام الملك خلال هذه السنة التي نصّت عليها الاتفاقية.

عيّن حكام الهند (خانا بلال مانيكيا لال مونشي) ممثلاً لهم لدى حكومة حيدر آباد. وفي خطوة استقلالية؛ فرضت حكومة حيدر آباد حظراً على نقل المعادن الثمينة (الذهب والفضة) إلى الهند، وأصدرت عملة نقدية وطنية مستقلّة عن الروبية الهندية. وعندما قرأ رئيس وزراء حيدر آباد (السيد لائق علي) التقارير الأمنية ووجد أن حكام الهند يشحنون الهندوس المقيمين في حيدر آباد بالكراهية ويسلّحونهم، أمر رئيس الوزراء بتشكيل قوات أمن خاصة بإمرة (قاسم رضوي).

بدأ حكام الهند تحركهم عبر تصريحات عدائيـة على لسـان السـردار (فـالا بهوباي باتيل) نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية الذي قال إن المستقبل الوحيد لدولة حيدر آباد يكمن في الانضمام إلى الهند.



الجنود الهندوس أثناء العمليات الحربية

ثم دعا إلى عقد مؤتمر مائدة مستديرة يضم جميع الفرقاء، شريطة إعلان (نظام الملك) أن حيدر آباد ستنضم في النهاية إلى الهند.. وبالطبع؛ كانت الفكرة مرفوضة من حيث الشكل والمضمون، وأعلنت حكومة حيدر آباد أن المسلمين سيدافعون عن دولتهم وحرّيتهم.

اعتقدت حكومة حيدر آباد أن جميع البلدان المسلمة في العالم ستدعم حيدر آباد إذا ما تعرضت لِلغزو الهندي، وأن مسلمي الهند (وكان عددهم وقتها ٤٥ مليوناً) سيتمكنون من رفع أصواتهم رفضاً للعدوان والغزو.

ولكن البانديت جواهر لال نهرو (رئيس وزراء الهند) كان يلتقي ـ في ذلك الحين ـ باللورد <<مونتباتن>> لحياكة أطراف العمل المدبّر. ومن خلال منظمة دول عدم الانحياز عزّز حكام الهند علاقاتهم مع جمال عبد الناصر والبلدان العربية لضمان تخلّي هؤلاء عن إخوانهم في حيدر آباد.

بدأت الحملة الإعلامية المنظمة لإلصاق تهمة الإرهاب بحكومة حيدر آباد، وكانت اللهجة تعبّر عن فكرة هندية تعدُّ حيدر آباد جزءاً من الهند، وتقدمت حكومة حيدر آباد بشكوى إلى الهند، دون طائل.

بدأ نهرو يتحدث بشكل مكشوف عن أطماعه في ضمِّ حيدر آباد بأي وسيلة ممكنة، وقال إن الاعتبارات الأمنية هي السبب في ذلك، وإن الهند لا تقبل بوجود دولة حيدر آباد على حدودها، ثم قال: (إننا سندافع عن الديمقراطية في حيدر آباد) وكانت عبارة تثير ردود فعل مختلفة.

بدأ تنفيذ المخطط مع قيام الهندوس بأعمال النهب والتخريب في حيدر أباد، وقامت الحكومة باعتقال عدد من الفاعلين، وبالتالي أعلن نهرو أنه يريد معرفة الذي يرسم مستقبل حيدر آباد؟ الحكومة أم الشعب؟. فهم الجميع من هذه العبارة نيّة الحكام الهنود لغزو حيدر آباد، وهنا قال (قاسم رضوي) إن الغزاة لن يدخلوا حيدر آباد إلاّ على جثث الشعب الذي سيدافع عن مستقبله وكيانه حتى آخر لحظة..

استمرت أعمال التخريب والذبح على يد الهندوس، فيما أعلنت نيودلهي أن عدد الهندوس في حيدر آباد يمثّل ٨٥ بالمئة من السكان، وبالتالي، يحقّ لحكومة الهند التدخل في هذه الدولة لإنقاذ الهندوس.

عاد اللورد مونتباتن بتاريخ ١٩٤٨/٦/٢١ إلى لندن بعد تعيين حاكم عام جديد بدلاً منه. وها هي الهند تثير مشكلة كبرى ومستعصية في ولاية جمو وكشمير أيضاً، وهي الولاية المسلمة الباكستانية، ولكن ـ نتيجة لمؤامرة بريطانية هندوسية ـ ظل الجيش الهندوسي مسيطراً على الولاية لضمان إلحاقها بالهند.. ولا زالت المأساة قائمة حتى اليوم...

وفيما كان الإنكليز يوحون لحكومة حيدر آباد أنهم سيقفون إلى جانبهم عند الحاجة، كانت أعمال التخريب تُوصل الأمن والقانون والنظام إلى حالة الشلل الكامل في عدّة مدن من حيدر آباد.

حاول نظام الملك أن يطرح قضية بلاده أمام مجلس الأمن في هيئة الأمم المتحدة، لكنّ محاولته سرَّعت خطة الهنود للانقضاض؛ فكانت القشة التي قصمت ظهر البعير، فقد أجرى (نهرو) اتصالاته النهائية.

عملية الاحتلال:

قرر حكام الهند شنَّ العملية الحربية حيث تكتمل مهمتها خلال وقت قصير، وكلّف راجيندرا سينغ (قائد الجيش) بالانطلاق في العملية.

كانت الخطة تقضي بانطلاق فرقتين من الجيش الهندي يوم ١٩٤٨/٩/١٣ باتجاه حيدر آباد بسرعة البرق واحتلالها بطريقة مماثلة لاحتلال القوات الهتلرية بولونيا مع بداية الحرب العالمية الثانية، كانت ضربات هتلر تسمى: (الصاعقة) لأنها سريعة وجبّارة. ولقد عيّنت الخطة موعداً بديلاً في حال إلغاء الموعد الأول، وكان الموعد البديل يوم ١٩٤٨/٩/١٥.

لم يكن جيش حيدر آباد كافياً لمواجهة الزحف الهندي الصاعق والكثيف، وسقطت البلاد بعد ١٠٨ ساعات من القتال، خاصة بعد وقوع خيانة من خبير متفجرات بريطاني كان مكلفاً من حكومة حيدر آباد بنسف الجسور عبر الحدود مع الهند، فقد تسلّل ذلك الخبير إلى الطرف الهندي في أحلك الساعات، وبقيت الجسور سليمة ليعبر الهنود فوقها.

وقع نظام الملك في أسر أعدائه، وأُرغم على تسطير كتاب إلى مجلس الأمن الدولي يلغي فيه مطالبته بالاعتراف الدولي ببلاده، ثم أُرغم على توقيع كتاب تنازل عن الرئاسة، ثم اكتملت عملية ضم دولة حيدر آباد إلى الهند الكبرى.

خلال سنوات ثلاث، قام الهنود بتسريح وعزل المسلمين في حيدر آباد من الوظائف الحكومية وقوات الجيش والشرطة، وصودرت أملاك (نظام الملك)، ومن أجل الإمعان في إلغاء هوية حيدر آباد؛ تمَّ إلحاقها بولاية هندية، وبذلك صارت مجرد مدينة من مدن الهند، ولتصبح عاصمة لولاية (آندرا براديش) الهندية، ومات مستقبل شعب كان يحلم بالحرية.

الفصل العاشر

عملية الماء الثقيل

عندما توصلت واشنطن إلى معرفة سر القنبلة الذرية شبّه العلماء ذلك الوضع بشفرة وقعت في يد قرد...

لقد عاشت ألمانيا الهتلرية سباقاً مع الولايات المتحدة باتجاه تصنيع القنبلة النووية، ومن يصل أولاً؛ سيدمر الطرف الثاني ، ويسيطر على العالم. والماء الثقيل لابد منه لإنتاج تلك القنبلة، وبما أن ألمانيا أقامت معملاً لإنتاج الماء الثقيل في النرويج؛ عملت دول الحلفاء على تنفيذ هجوم كوماندوس لتدمير ذلك المعمل.. وهنا نسرد للقارئ قصة تلك العملية الجريئة..

ففي الشهر الأخير من عام ١٩٣٨، نجحت التجربة العلمية التي أجراها خبير الفيزياء الألماني أوتو هان والتي أدت إلى اكتشاف التفاعل الذري. أثار نجاح التجربة اهتمام علماء الفيزياء في أنحاء العالم، ورفعت التقارير إلى الحكومات مشيرة إلى قرب التوصل إلى إنتاج السلاح النووي في ألمانيا؛ ولأول مرة في التاريخ، وبذلك تسبق ألمانيا جميع دول العالم في هذا المضمار. أما الألمان من جانبهم، فقد رفعوا درجة السرية في مختبراتهم بعد نجاح التجربة.

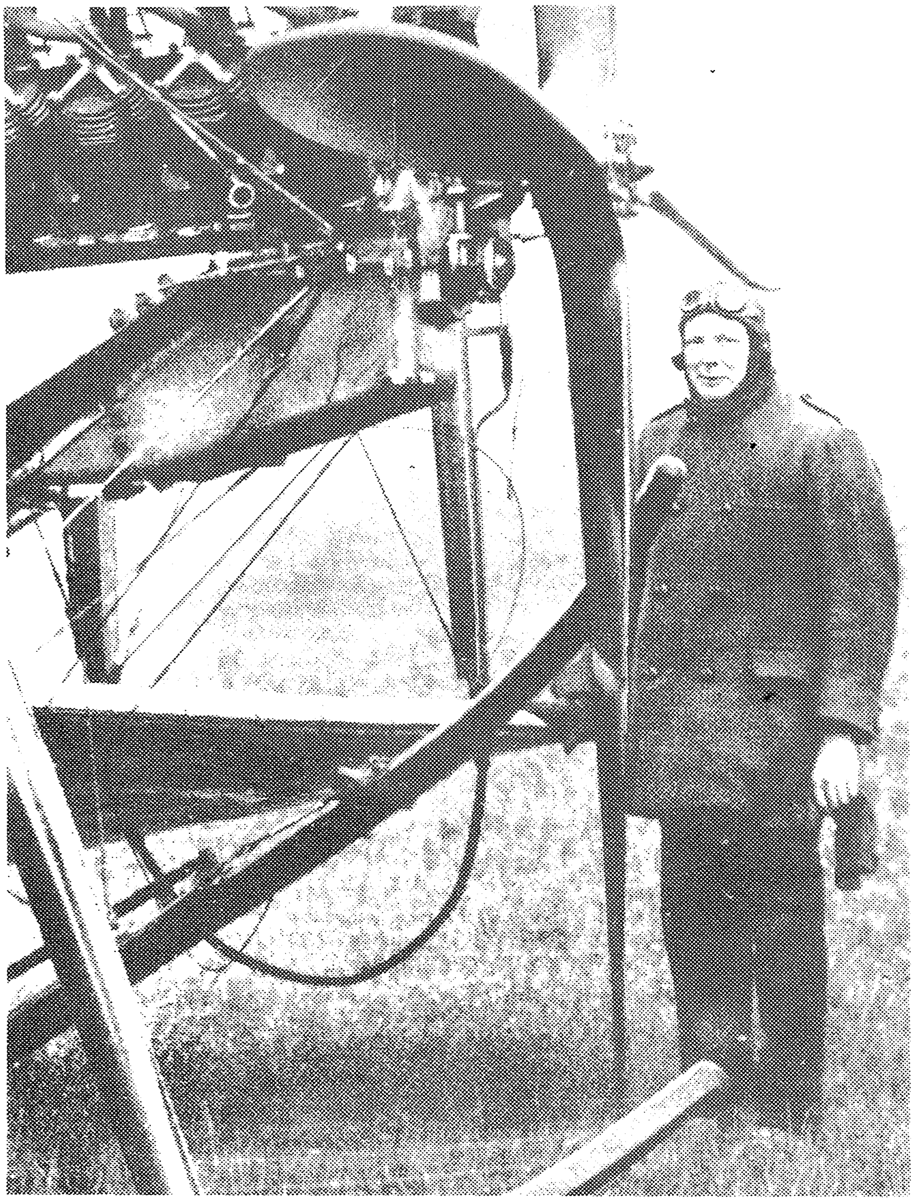
أحسَّ الحلفاء بالذعر (بريطانيا ـ فرنسا ـ الولايات المتحدة)، فقد ازداد احتمال توصل الألمان إلى صناعة السلاح النووي قبل نجاح الحلفاء في ذلك، وإذا نجحت ألمانيا فإنها ستصبح زعيمة الغرب بلا منازع.

تشرشل وروزفلت:

اتجه ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني إلى نيويورك ليلة ١٩٤٢/٦/١٧، أثناء الحرب العالمية الثانية للقاء الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت بهدف وضع اللمسات الأخيرة للعمليات الحربية التي سيشنُّها الحلفاء ضد دول المحور (ألمانيا وإيطاليا) خلال عامي ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣، وكذلك موضوع السلاح المحتمل الجديد لدى الألمان.

كان تشرشل وروزفلت على علم بالجهود المستميتة التي يبذلها الألمان لتأمين إمدادات الماء الثقيل. وقد اشتد الصراع، لأن الجهة التي ستحصل أولاً على السلاح النووي، ستدمر الجهة الثانية، وستكسب الحرب حتماً.

في تلك الأثناء، كانت محطة (نورسك) في النرويج هي الوحيدة المنتجة للماء الثقيل في العالم، وقد وقعت النرويج تحت الاحتلال الألماني منذ عام ١٩٤٠. وعلمت المصادر الاستخبارية أن الألمان ومنذ احتلالهم للنرويج أمروا تلك المحطة القائمة في منطقة (فيمورك) بزيادة إنتاجها من الماء الثقيل إلى ١٤٠٠ كيلو غراماً سنوياً، وفي عام ١٩٤٢ زيدت الكمية إلى ٤٥٠٠ كيلو غراماً. إضافة إلى ذلك، حظرت السلطات الألمانية تصدير اليورانيوم من تشيكوسلوفاكيا. كل ذلك يشير



تشرشل وزير الحربية ثم رئيس وزراء بريطانيا

إلى المحاولات المستميتة من قبل ألمانيا لتحقيق السبق. اتفق تشرشل وروزفلت على ضرورة قطع إمدادات الماء الثقيل، أي تدمير محطة فيمورك في النرويج.

القرار والمحاولة الأولى:

بعد عودة تشرشل إلى لندن، رسمت خطة لتدمير غرفة الماء الثقيل في محطة فيمورك. كانت الغرفة تقع في قبو تابع لمبنى مشيد من الحجارة والفولاذ والإسمنت، ولذلك فالمبنى أقوى من إمكانية تدميره بقنبلة.

ولذلك تقرّر إرسال فريق كوماندوس لمهاجمة المحطة من الداخل. رُسمت الخطة، ووقع الاختيار على ٣٤ من رجال القوات الخاصة،كما تقرّر إرسال عدد من المنفيين النرويجيين لمسح المنطقة والتعرّف على الطرق وتحديد قدرة الدفاعات حول المحطة، كما جمعت معلومات عن الأحوال الجوية ومعلومات ملاحية من أجل إرشاد الطائرة خلال الطيران الليلي، ومعلومات عن أفضل طريقة لإرشاد فريق التنفيذ إلى مكان المحطة.

في المرحلة الأولى، تحرك فريق الطليعة المكون من أربعة رجال فقط، وهبطوا بالمظلات فوق منطقة ثلجية، وهناك أقاموا قاعدة للفريق.

وفي يوم ١٩٤٢/١١/١٩، أرسل فريق الطليعة إشارة لاسلكية تقول: (الأشياء على مايرام)، وهنا توجه بقية الرجال إلى النرويج، ولكن الطائرة اصطدمت بأحد الجبال، ومات بعضهم، أما البقية فقد جاءت المخابرات الألمانية إليهم واعتقلتهم بعدما كشفت موقع سقوط الطائرة. عندما عرف الألمان حقيقة مهمة الرجال؛

صدر عليهم حكم بالإعدام رمياً بالرصاص، وبذلك انتهت المحاولة الأولى نهاية مأساوية تماماً.

المحاولة الثانية:

لحسن حظ المسؤولين في لندن، قام الدكتور يومار برون بزيارة لندن في نوفمبر من عام ١٩٤٢، وهو الرجل الذي رسم تصاميم محطة الماء الثقيل النرويجية بالاشتراك مع البروفسور ترونستاد. وهكذا ذهب الدكتور (برون) إلى إدارة الجاسوسية البريطانية ليقدم خدماته ويعطي تفاصيل كاملة عن مبنى معمل الماء الثقيل.

وفي هذه المرة، اختير فريق من الرجال النرويجيين بقيادة شاب في الثالثة والعشرين من العمر، وهو يواكيم رونيبرغ، وأعيد الاتصال مع فريق الطليعة (أربعة رجال) في النرويج.

لقد كشف الدكتور برون عن سر خطير لا يعلمه إلاّ القلائل، فهناك ممر سري مفتوح يوصل إلى قلب المحطة من الداخل. وفي الوقت نفسه، تمَّ تنبيه الرجال إلى خطورة الوقوع في أيدي الجستابو (المخابرات الألمانية)، ولذلك زوّد كل رجل بقرص من السم لاستعماله عند الضرورة، فالسمّ أفضل من التعذيب الرهيب على أيدي الجستابو.

حلّت السنة الجديدة، وفي يوم ١٩٤٣/١/١٧، استقل الرجال طائرة نقلتهم إلى النرويج كي يهبطوا بالمظلاّت ويلتحقوا ـ مبدئياً ـ بفريق الطليعة. لقد نجحت المرحلة الأولى من الخطّة مع الرياح العاصفة والثلوج التي تتساقط بشكل مرعب.

الساعات الحاسمة:

تبتعد القاعدة عن المعمل المقصود ٢٩ كيلـو مـتراً، وبـدأ توزيـع الأدوار علـى الرجال. كانت المهمة الأولى تأمين الاتصال اللاسـلكي مـع لنـدن، وأوكلـت هـذه المهمة إلى (نـوت هوغلانـد)، وتمَّ تقسـيم بقيـة الرجـال إلى فريقـين؛ فريـق للتدمـير وفريق للحماية والتغطية.

وعندما بدأت الرحلة المرهقة باتجاه المحطة، لم تكن الأمور سهلة، فقد استعمل الرجالات الزلاّجات للسير فوق الثلـوج، واضطـروا إلى عبـور نهريـن وإلى صعـود جبال، وكل ذلك لتجنّب التعرّض لخطر افتضاح أمرهم.

وفي النهاية أشرف الرجال على المحطة التي تقوم على مسافة كيلو مـتر واحـد. ولكن هذا الكيلو متر هو الأخطر... ففـي كـل مكـان يحتمـل وجـود لغـم أرضـي ينسف كل من يمّر فوقه.

ألقى الرجال نظـرة أخـيرة علـى الخريطـة الـتي رسمهـا لهـم الدكتـور (بـرون)، وانتظرو موعد تبديل نوبات الحراسة، وتسلّلوا باتجاه المدخل السـري الـذي تحـدّث عنه الدكتور. وبالفعل تمكنوا من الوصول إلى غرفة التخزين التي عثر فيها على ١٨ خلية ماء ثقيل.

لم يكن الوصول دون ثمن؛ فقد أقدم المهـاجمون علـى قتـل حـارس بالسـكين، وبعدها قام الرجال بربط المتفجرات مع خلايا الماء الثقيل...

ومرت اللحظـات كأنّهـا سـنوات.. ومـا إن خـرج الرجـال وابتعـدوا مسـافة عشرين متراً حتى سمع الجميع دوي الانفجار، وعندمـا التفتـوا إلى الخلـف شـاهدوا

لهيباً ذا لون برتقالي ينعكس نوره على الثلوج التي تغطي المنطقة. وأسرع الرجال الخطى قبل وصول الحرس الألماني.

لقد نفذت المهمة على الوجه المطلوب، وبدأت رحلة العودة الصعبة باتجاه الحدود السويدية، ومن هناك يعود الرجال إلى لندن بالطائرة. أما فريق الطليعة فقد بقي هناك في قاعدته.

قصف محطة الماء الثقيل:

عندما حل شهر نيسان <<إبريل>> من عام ١٩٤٣، أكمل الألمان أعمال إعادة بناء محطة الماء الثقيل، وبدأت التحضيرات للبدء بالإنتاج من جديد، ووصلت المعلومات إلى لندن عبر أجهزة <<اللاسلكي>>، كما تناهت إلى أسماع الجنرال ليزلي غروفز ـ رئيس برنامج السلاح النووي الأمريكي ـ أن المحطة ستعاود العمل يوم ١٩٤٣/٨/١٥، وهذا يعني أن ألمانيا ستسبق الولايات المتحدة في إنتاج ذلك السلاح.

انطلق أسطول جوي يتكون من مئة وخمسين طائرة ليغمر محطة الماء الثقيل بطوفان من القنابل يوم ١٩٤٣/١١/١٦، ولكن المحطة بقيت سليمة، أما الألمان فقد قرروا نقل مخزون الماء الثقيل إلى ألمانيا من باب الحيطة. وفي يوم ١٩٤٤/٢/١٩ حمل الألمان خمسين برميلاً من الماء الثقيل في أحد القطارات باتجاه الميناء، وفي اليوم التالي ١٩٤٤/٢/٢٠ حملت البراميل في قارب كبير متجه إلى ألمانيا عبر مياه إحدى البحيرات.



ادولف هتلر يستمع الى شروح مساعديه

وما إن وصل القارب إلى منتصف البحيرة، حيث يبلغ عمق المـاء ٤٠٠ مـتراً، حصل انفجار شَطَرَ القارب وأغرقه خلال ثوان.

ولم يعد بوسع الغوّاصين انتشال أي برميل من تلك البراميل. وهكذا تبخرت آمال ألمانيا في إنتاج السلاح النووي.

لقد تمكن رجال المقاومة السرية النرويجية من وضع قنبلة موقوتة في ذلك القارب، وانفجرت في الوقت المناسب، مما سبّب ما يشبه الصاعقة للعلماء الألمان، فالخسارة فادحة، ولا يمكن تعويضها.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة ألمانيا، عثر بين الأوراق السرية على تعليق كتبه مدير البرنامج النووي الألماني، يقول فيه:

(إن تدمير محطة الماء الثقيل هو العامل الرئيس في فشلنا وخسارتنا لسباق السلاح النووي وبناء مفاعل نووي قبل نهاية الحرب).

الفصل الحادي عشر

عملية الكيمونو(١)

أتمت الاستخبارات الأمريكية مهمة جمع المعلومات في الصين، وهنا برزت مشكلة إخراج الوثائق والمستندات من الصين، وقد بلغ حجمها مقداراً كبيراً، فهي تبحث مختلف الشؤون الاقتصادية والسياسية والعسكرية في الصين الشيوعية الحمراء التي يحكمها ماوتسي تونغ.

لقد عاشت قيادة مشروع (كيمونو) في مدينة يانغشي من مقاطعة يينان الملاصقة لحدود بورما، وقد قررت إدارة وكالة المخابرات المركزية (C.I.A) أن تلتقط (الكيمونو) بواسطة الطائرات، ووجدت أن طائرة التجسس من طراز [يو — ٢] قادرة على أداء المهمة بكل يسر وسهولة.

برزت مشكلة ديبلوماسية، لأن أقصر طريق جوي إلى يانغشي تمرّ فوق الهند، وقد درست وكالة المخابرات المركزية رحلة الطائرة التجسسية إلى يينان في الصين الشيوعية انطلاقاً من قاعدة جوية في الهند، وذلك دون إعلام الهند بالرحلة واتجاه طيرانها، ولكن السفارة الأمريكية في نيودلهي عبّرت عن قلقها.

---

(١) الكيمونو هو الرداء النسائي التقليدي الشائع في اليابان.

قالت السفارة إن الولايات المتحدة أغضبت تركيا ـ وهي الدولة الصديقة ـ بسبب رحلات التجسس المنطلقة من قواعد تركية باتجاه الاتحاد السوفييتي دون إعلام الحكومة التركية، وقالت السفارة إن كارثة ستحلّ لو تكرر الموضوع مع الهند، ولذلك ينبغي عدم تكرار الغلطة ذاتها والتسبب بنشوء عداوة. وحسب مشورة السفارة، قام دبلوماسيون أمريكيون بزيارة الهند وشرح القضية للدبلوماسيين الهنود من أجل إتمام المهمة التي ستدعم (السلام) في الشرق الأقصى.

ولحسن حظ الأمريكيين، كانت الهند عام ١٩٦٨ تعيش علاقات توتّر مع الصين، وعلى مدى سنوات، ولم يكن صعباً على الدبلوماسيين الأمريكيين إقناع الهند أن تشيح بوجهها إلى الطرف الآخر أثناء تنفيذ العملية، أي تتعامى وتتظاهر بعدم علمها بالموضوع.

وضعت الخطة، وتمّ إعادة تأهيل مطار هندي قديم لاستخدامه في عملية الكيمونو، وقد تمّ التفاهم مع الهند حيث تبعد أنظارها عن ولاية آسام، وهي شمال شرق الهند.

اختيار مطار:

وقع الاختيار على مطار قديم كانت قوات الاحتلال البريطاني تستخدمه في الفترة ١٩٤٠ ــ ١٩٤٥ (الحرب العالمية الثانية) لإقلاع وهبوط طائرات النقل العسكري من طراز [سي ــ ٤٦]، وقد هجرت الطائرات في ذلك المطار بعد سنوات، وهنا خطرت إلى بال المشرفين إمكانية استعمال إحدى هذه الطائرات

بدل طائرة التجسس يو ـ ٢، وبدأ ـ بالتالي ـ تفحّص الطائرات لاختيار واحدة مناسبة لتنفيذ العملية.

تم تكليف الكسندر آرنولد، وهو الملحق العسكري الأمريكي في نيودلهي، للإشراف على العملية <<كيمونو>>، وهو بدوره استدعى عدداً من المهندسين والاختصاصيين في الطيران من الهند وبريطانيا والولايات المتحدة، وقد اجتمع هؤلاء بشكل سري في أحد فنادق كالكوتا، وفي اليوم التالي استقل فريق العمل طائرة خفيفة حلّقت بهم فوق المطار القديم الذي اختير كقاعدة للتنفيذ، وشاهد الجميع الطائرات القابعة هناك. وفي اليوم التالي، اختار المهندسون طائرة بدت ـ مقارنة مع الطائرات الأخيرة ـ سليمة مع أن الحشرات قد أكلت عجلاتها. والآن بدأت عملية إعادة تعمير الطائرة لتصبح صالحة للمهمّة، وكان أهم عمل قام به المهندسون تركيب محرّك جديد للطائرة. وفي نهاية العمل، صار لدى فريق العمل طائرة جيدة قادرة على تنفيذ المهمة المطلوبة.

اختيار الطيار:

بدأ الملحق العسكري الكسندر أرنولد بحثه عن طيار خبير مناسب للمهمة وقادر على قيادة طائرة من طراز سي ـ ٤٦ بين المرتفعات والجبال، ووقع الاختيار على الطيار (بين كيث) الذي اشترك في معارك الطيران أيام الحرب العالمية الثانية، وبالتحديد في تلك المنطقة الجبلية.

وعندما اطّلع الملحق العسكري على سجلّ الطيار وجده نظيفاً يدل على براعته في تنفيذ المهمات الصعبة. وعندما التقى الملحق التجاري مع الطيار في فندق

(جبل إيفرست)؛ أخبره بالمهمة السرية، والمطار الذي وقع الاختيار عليه، والطائرة التي أعيد تعميرها.

وافق (كيث) على قبول المهمة في النهاية، وبدأت عملية البحث عن مساعد للطيار، ووقع الاختيار على أحدهم خلال وقت قصير.

قام كيث بتفحّص الطائرة، وأخذ يجرب جميع المفاتيح والمؤشرات والمقاييس في غرفة القيادة، وشغّل المحرك الذي يعمل بقوة ٤٠٠٠ حصان، وتحركت الطائرة على أرض المدرّج.

انطلقت الطائرة، وحلّقت باتجاه الصين، وخلال وقت قصير وصلت إلى منطقة المرتفعات حيث عبرت إلى بورما ثم منطقة الميكونغ، ثم مقاطعة يينان الصينية. بعد وقت قصير، أمكن تحديد بقعة هبوط الطائرة بشكل دقيق، وكان الظلام قد بدأ ينتشر، ولم يكن القمر قد ظهر في السماء بعد.

نجحت الطائرة في هبوطها، وعلى الأرض كان هناك ستة رجال بالانتظار، ولم يعرف الطيار (كيث) من المدعو (كيمونو)، ولكن عندما ارتقى الرجال الطائرة، تقدم أحدهم قائلاً: أنا المدعو كيمونو. نظر الطيار إليه، وتعرّف على ملامحه الشرقية القوقازية السلافية في الوقت ذاته. قال كيمونو (وهو اسم سري) إن الرجال الخمسة الآخرين مساعدون لتحميل المواد إلى الطائرة، وإنهم سيبقون على الأرض بعد ذلك، لأنهم مواطنون صينيون.

عند هذه الرحلة، تقدم الملحق العسكري ونطق بكلمة السر: (الهيكل العظمي الأحمر)، وعلى الفور، تعرّف كيمونو عليه وقال: (أنت إذن أرنولد)، ثم عرض

عليه البدء بتحميل المواد. نظر أرنولد إلى المواد، ووجدها تملأ عشرة صناديق ثقيلة، وكانت صدمة هائلة.

لم يكن وقود الطائرة كافياً، فالطائرة ـ بما تحمل من وقود ـ قادرة على حمل الكيمونو، ولكن دون الصناديق. هنا قال كيمونو: هذه الصناديق تحمل أسرار التسليح الشيوعي.. وهي على درجة من الأهمية.. وهي كلها وثائق حقيقية..

استمر الجدل ساعة كاملة بين كيمونو والطيار والملحق التجاري.. وأصرّ كيمونو على تحميل الصناديق.. وهذا ما حدث فعلاً، وأقلعت الطائرة في رحلة العودة.

لم تكن رحلة العودة سهلة، فقد كادت طائرتا دورية صينيتان أن تكتشفا الطائرة المتسلّلة، وبعد فترة تعطّل أحد محرّكات الطائرة.. وهنا خشي كيمونو أن يقوم الطيار بالتخلّص من الصناديق، لذلك حمل السلاح وسيطر على الطائرة إلى لحظة هبوطها في الهند حاملاً فيها ذلك الكنز الكبير من المعلومات... وهكذا انتهت عملية (كيمونو) نهاية سعيدة.

الفصل الثاني عشر

عملية قتال السكاكين
(ليبيا)

كانت الطائرات الأمريكية تنقل صواريخ من نوع جو ـ جو، وقامت المقاتلات الليبية بملاحقتها وإنذارها من أجل التفتيش... وخشي الأمريكان من كشف الحقائق... لذلك نفّذوا عملية (قتال السكاكين)...

تصنّف العمليات الحربية عادة ضمن فئتين: عمليات خُطط لها مسبقاً، وعمليات آنيّة دون سابق تخطيط أو تحضير.. وتعدُّ عملية قتال السكاكين من النوع الثاني...

إذ كانت طائرتان أمريكيتان في رحلة سرية لنقل صواريخ استراتيجية من نوع جو ـ جو، وفجأة، تعرضتا لخطر التفتيش من جانب طائرتين ليبيّتين. لم تكن هناك حالة إعلان حرب بين ليبيا والولايات المتحدة، وفي الوقت نفسه؛ خشي الطياران الأمريكيان من نتائج التفتيش الليبي، وقرّرا رفض الانصياع للأوامر ومقاومة الاعتقال.. دون وصول أوامر من القيادة الجوية الأمريكية.

ظن الأمريكيان أن ليس من حق القوى الدفاعية الليبية ممارسة التفتيش، حتى لو خرقا الأجواء الليبية، ولكن الليبيين أصروا على ممارسة حقّهم الدولي في التفتيش.

يأخذ الغرب على العقيد القذافي أنّه يمدّ منظمة الجيش الجمهوري الإيرلندي بالمال والسلاح، وخاصة متفجرات من نوع سيمتكس Semtex التي لا يمكن كشفها عبر أجهزة الكشف <<الكونترول>> في المطارات. كذلك كان يموّل بعض الحركات المسلّحة الفلسطينية، وخاصة فرقة (أبي نضال) مجلس فتح الثوري، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين /القيادة العامة، التابعة للسيد أحمد جبريل، وشقيقته الآنسة أميرة.

لقد حصل السيد جبريل عن طريق وكلاء مونتابرت الفرنسية على آلية لحفر الأنفاق، واستطاع بواسطتها إقامة شبكة سرية واسعة من الأنفاق في منطقة جنوب لبنان، وكانت الشبكة من ضمن الأسباب التي جعلت الجيش الصهيوني يغزو لبنان عام ١٩٨٢ ويصل إلى بيروت، ووقعت آلية حفر الأنفاق في قبضة الإسرائيليين.

وصل رونالد ريغان إلى سدّة الحكم في البيت الأبيض الأمريكي وأخذ يرعد ويهدّد، وأمر بالعملية التي ظهرت على شكل مجابهة جوية عام ١٩٨١، حين أطلقت طائرتان ليبيتان نيرانها على مقاتلات أمريكيةِ حلّقت فوق خليج (سدرة)، حيث أرادت الولايات المتحدة تحدي المياه الإقليمية الليبية، ولكن صواريخ البحرية الأمريكية أسقطت الطائرتين الليبيتين.

وقع الحادث الثاني عام ١٩٨٦، حين أبحرت سفن أمريكية باتجاه خليج سدرة وتخطت خط حدود المياه الإقليمية الليبية، وهنا تقدم زورقان ليبيان لمنع التجاوز وفرض سلطة القانون، وهنا قامت سفن من الأسطول السادس الأمريكي بتدمير الزورقين وتدمير محطة رادار ليبية على الساحل الليبي.

في الخطوة التالية، اتهم رونالد ريغان ليبيا بأنها وراء تفجير قنبلة في صالة ملهى ليلي في برلين الغربية يرتاده العساكر الأمريكان بحثاً عن المتعة الحرام. وفي الأقبية السرية؛ خطط ريغان لعملية قصف جوي ضد ليبيا، واتجهت طائرات من طراز F - 111 وطراز A - 6 باتجاه طرابلس الغرب، وقصفت طرابلس وبنغازي في استعراض قوة ساعد ريغان في استعادة شعبيتهالمنهارة داخل بلاده.

مرة أخرى، ركّز ريغان على موضوع مصنع (الرابطة) الليبي لإنتاج السلاح الكيميائي (غازات سامة)، ويقع المصنع على بعد ٨٠ كيلو متراً جنوب غرب طرابلس. وأخذ ريغان يروّج لصور التقطتها الأقمار التجسسية، وهي تكشف استعدادات دفاعية هائلة حول المصنع.

أعلن ريغان أيضاً أن التقارير الاستخبارية تذكر أقوال عمال أكدوا وجود صناعة فولاذ لإنتاج قذائف. وقرّر ريغان أن ليبيا تنتج أسلحة، وأن من حقّه أن يقصف ليبيا ويدمر محطة إنتاج السلاح. من جهتها، نفت ليبيا هذه الأقوال الصادرة عن ريغان.

أجرى ريغان مؤتمراً صحفياً يوم ١٩٨٨/١٢/٢١ لم ينف خلاله احتمال القيام بعدوان عسكري ضد ليبيا، وتواردت أخبار عن قيام البنتاغون الأمريكي

بتحضير صواريخ توماهوك للقيام بالقصف، وهي صواريخ تطلق من سطح السفن أو الغواصات، ويبلغ مداها ١٢٠٠/كم.



معمر القذافي وزوجته

وفي الوقت نفسه، أبحرت حاملة الطائرات الأمريكية المسمّاة جون كينيدي على بعد ثلاثة كيلو مترات من المياه الإقليمية الليبية، وعلى بعد ١٠٠ كيلو متر من مصنع الرابطة. كما أعلن البنتاغون أن حاملة الطائرات المسماة (تيودور روزفلت) غادرت قاعدتها في (نورفولك) للانضمام إلى جون كينيدي في مياه البحر المتوسط، وقال البنتاغون: هذه التحركات لا ينبغي أن تثير أعصاب ليبيا.

مواجهة الدقائق السبع:

استمرت المواجهة سبع دقائق، وذلك يوم ١٩٨٩/١/٤، فكانت بمنزلة هدية عيد الميلاد ملوثة بدماء الضحايا، وعلى ارتفاع ٢٠٠٠٠ قدم في أجواء البحر المتوسط.

كانت حاملة الطائرات (جون كينيدي) تبحر في البحر المتوسط، وكانت طائرات توم كات (ف ـ ١٤) تحلّق فوق الحاملة خلال ساعات الظهيرة، وتمكنت أجهزة الرادار من تتبّع طائرتي (ميغ ـ ٢٣) وقد أقلعتا من مطار بمبا العسكري الليبي. لقد استطاع الرادار رصد الطائرتين على مسافة ١٦٦ كيلو متر.

في الساعة الثانية عشرة تماماً اتجهت الطائرات الأمريكية لقصف الميغ، وصدرت أوامر قائد السلاح الجوي على السفينة كينيدي بتدمير (الميغ)، وكانت الميغ قد أصبحت على مدى ٣٢ كيلو متر من الطائرات الأمريكية.

تعدُّ طائرات (ف ــ ١٤) متعددة الأغراض، فهي قتالية وقادرة على نقل الصواريخ، ويتألف طاقمها من طيار وضابط تسليح، أما (الميغ ـ ٢٣) فهي مقاتلة ذات طيار واحد. وتحمل (ف ـ ١٤) نوعين من الصواريخ هما : (سبارو ـ وسايد

وندر). أما صاروخ سبارو، فهو صاروخ جو ـ جو، طوله ١٢ قدماً، ووزنه ١٩٠ كيلو غراماً، وينطلق بسرعة ٤١٨٣ كيلو متراً بالساعة، ويتم توجيهه بالرادار، ويبلغ مداه /٥٥/ كيلو متراً.

أما صاروخ سايد وندر، فهو صاروخ جو ـ جو، طوله ٩ أقدام، وزنه ٧٢كغ ـ سرعته ٣٠٥٧كم/بالساعة، ويتم توجيهه حرارياً، ويبلغ مداه ٦٥كم.

على بعد ١٩كم، انطلق الصاروخ الأول من نوع سبارو وأخطأ هدفه، فأطلق الطيار صاروخه الثاني، وأخطأ هدفه أيضاً، وهنا صرخ ضابط التسليح: أوه... يا للمسيح...

اقتربت طائرتا الميغ، وهنا بدأت طائرات (ف ـ ١٤) بالهروب من ساحة المعركة الجوية، وتمّ إطلاق العديد من صواريخ سبارو، وانفجرت طائرة (ميغ ٢٣)، ففرح الأمريكان من جديد... وصاروا يقولون: الحمد لله.. الحمد لله.. وبدأ العمل لضرب الطائرة الثانية المتبقية..

انطلق صاروخ من طراز سايد ويندر الذي يبحث عن هدفه بواسطة تتبع المصدر الحراري، ودمّر الميغ الثانية... وظهر صوت الطيار على جهاز اللاسلكي مبتهجاً وهو يقول: لقد قتلته.. لقد قتلته.. اسمحوا لنا بالعودة إلى حاملة الطائرات...

أطلق الطيارون الأمريكان على تلك المجابهة التي استغرقت سبع دقائق تسمية (القتال بالسكاكين)... وهبط الطياران الليبيان بالمظلات فوق مياه البحر... أما

طائرتا الميغ فقد تحولتـا إلى كتـل ناريـة ملتهبـة وتنـاثر حطامهمـا في ميـاه البحـر المتوسـط الزرقاء..

ريغان يسوِّغ:

حاول ريغان التملُّص وادعى أن ليبيـا شـكلت خطـراً علـى طائراتـه، ولذلـك أطلق الصواريخ على الليبيـين.. و لم تجـد ليبيـا أمامهـا سـوى التقـدم بالشـكوى إلى مجلس الأمن الذي يقع مقرّه في نيويورك... وكان الرد الأمريكـي يتمثـل في تقديـم صور فوتوغرافية تثبت قدرة طائرات الميغ على حمل صواريخ جـو ــ جـو.. ولكـن الطيارين الأمريكان ـ قبل إطلاق صواريخهما ـ لم يكونا يعرفان أن الميغ تحمـل مثـل تلك الصواريخ من طراز (آبيكس).

ثم أذاع المتحدث الرسمي في اليوم التالي باسم البيت الأبيض الأمريكـي قـائلاً: لم نخطط للعملية، و لم يكن في نيتنا خوض تلك المعركة...

الفصل الثالث عشر

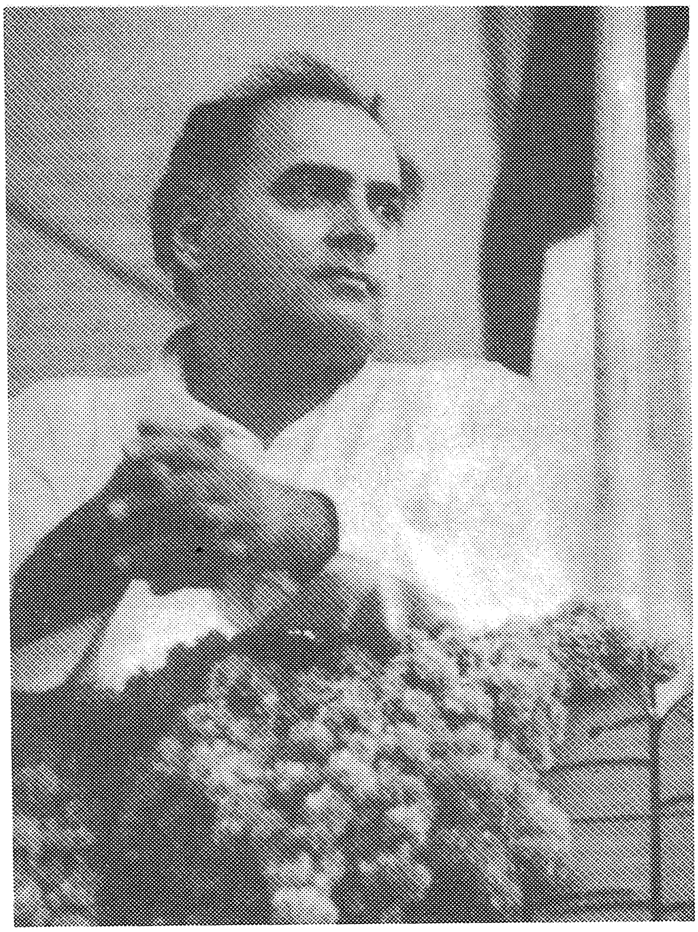
عمليّة نبات الصبّار
(جزر المالديف)

توجد في المحيط الهندي مجموعة جزر تقارب ١١٩٠ جزيرة، وتسمى جزر المالديف. وذات يوم، نجح رجل يدعى (عبدالله لطفي) في السيطرة على المالديف بمساعدة مرتزقة استأجرهم من بين سكان <<سيريلانكا>>... وفي ساعة الكارثة، اتصل رئيس المالديف بالحلفاء المجاورين، وانطلق الجيش الهندي لمدّ يد العون للمالديف وتخليصها من قبضة عبدالله لطفي...

كان رئيس الوزراء الهندي راجيف غاندي(١) يوم ١٩٨٨/١١/٣ يغطّ في نوم عميق عندما رنَّ جرس هاتفه المجاور للسرير ضمن مقر الإقامة الرسمي في نيودلهي، وكانت الساعة الرابعة والنصف عند الفجر. كانت المكالمة نداء استغاثة من رئيس المالديف (مأمون عبد القيوم) طالباً العون العسكري لحماية بلاده من عدوان خارجي. لم يكن عبد القيوم في اللحظات الأولى قادراً على تخمين مدى

(١) وهو ابن أنديرا غاندي، تم اغتياله في حادثة منفصلة.

ذلك العدوان ودوافعه، ولكن مسؤولي الأمن القومي هرعوا إليه وصحبوه إلى مكان سري آمن بعيداً عن المقر الرسمي حيث انتشرت أصوات إطلاق النيران.



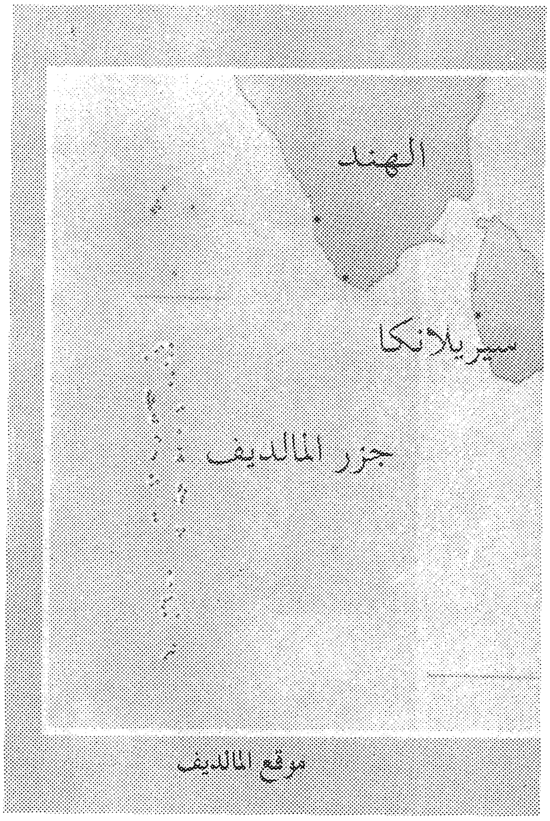
راجيف غاندي رئيس وزراء الهند

اتصل راجيف غـاندي مباشـرة بمستشـاريه المقرّبـين، وبعـض أعضـاء الـوزارة الهندية وكبار ضباط القـوّات المسـلّحة، وطلـب مـن وكـالتي الاسـتخبارات المدنيـة والعسكرية جمع التفاصيل حول العدوان المزعوم على جزر المالديف المستقلّة.

كان الرئيس عبد القيوم قد أعـاد انتخـاب نفسـه للمـرة الثالثـة عـام ١٩٨٨، وحدّد يوم ١١/نوفمبر لقيام الاحتفالات وأداء اليمين القانونية. وكان من المقرر أن يزور عبد القيوم الهند يوم ٢/نوفمبر أي قبل تدشين فترة حكمه الثالثة بتسـعة أيـام، وذلك ضمن المشاورات الجارية بـين دول مجلس التعـاون في منطقـة جنـوب آسـيا (SAARC)، وكـان السـفير الهنـدي في مـالديف قـد سـافر فعـلاً إلى نيودلهـي للمشاركة في المباحثات بين رئيس الوزراء راجيف غاندي والرئيس عبد القيوم.

ولكن عبد القيوم أجّل موعد سفره فجـأة، وهـا هـي مكالمتـه الهاتفيـة تطلـب النجدة العاجلة والفورية.. مما يجعل ظروف المنطقة في حالة تعقيد وبلبلة...

في (بالي) عاصمة المالديف، وفي الساعة الرابعة من فجر يـوم ٣/نوفمـبر، نـزل مئتان من المرتزقة (المسلّحين بالبنادق الآليـة والصواريـخ الخفيفـة والقنـابل اليدويـة) على الشاطئ. لقد اختار المرتزقة هذا التوقيت عينه لأنه موعد تبديل أفـواج حـرس السواحل. وتمكّن المرتزقة من احتلال مكاتب الإذاعة المسموعة والمرئية ومحطة توليد الكهرباء، ولكن لحسن حظ الرئيـس عبـد القيـوم، لم يتمكنـوا مـن السـيطرة علـى وسائط الاتصال مع العالم الخارجي، وهكذا تمكّن الرئيس عبد القيوم مـن الاتصـال هاتفياً، وطلـب العـون العسـكري مـن باكسـتان وماليزيـا وسـيريلانكا والولايـات المتحدة والهند.



خريطة تبين موقع الجزر التي تشكل دولة المالديف

لقد علم عبد القيوم بالعدوان عندما هاجم المرتزقة مقرَّ حرس السواحل، وهنا اتصل أحد الضباط بالرئيس مباشرة وأعلمه بوجود غزاة قادمين عن طريق البحر، وأنَّ الجمهورية في خطر.

وعندما تمّ إيقاظ الرئيس عبد القيوم في تلك الساعة، أدرك الموقف تماماً، فأيقظ ولده (غسان) الذي يبلغ السنة الثامنة من العمر، وزوجته (نسرين ابراهيم)، وانطلق الجميع إلى مخبأ سري آمن، ومن هناك، أجرى الرئيس اتصالاته مع عواصم العديد من دول العالم.

حالة الطوارئ في الهند:

أمر الرئيس الهندي في الساعة الثامنة صباحاً الأجنحة الثلاثة للجيش أن تقف على أهبة الاستعداد، ثم اجتمعت اللجنة الوزارية الخاصة بالشؤون السياسية، وتقرّر إرسال قوات هندية إلى جزر المالديف لإجبار الغزاة على المغادرة الفورية، وتلقت القيادة الجنوبية للسلاح الجوي أوامر الاستعداد لشن العمليات الحربية دون تفصيل مدّة الاستنفار، أو القوة البشرية التي ستشارك.

وعندما حلّت ساعة الظهيرة، تحركت الطائرات العسكرية من عدة مناطق لتتجمّع في قاعدة الانطلاق، وتمّ استدعاء الطيارين على عجل من عدة قواعد جوية، وخلال ساعتين، صار ثلاثة آلاف رجل على أهبة الاستعداد، ووضعت مئات الأطنان من الذخائر تحت تصرّفهم.

لقد كانت فترة عصيبة، واضطر طيارو النقل العسكري للعمل بشكل متواصل على مدار الساعة - دون نوم - من أجل تلبية الاحتياجات الضرورية. وعندما أشرقت شمس يوم الرابع من نوفمبر كانت الاستعدادات قد وصلت ذروتها.

في الساعة الأولى، تم نقل ١١٠٠ من الجنود الهنود، مع ثمانين طن من الحمولة (ذخائر - أغذية - أدوية) إلى العاصمة (بالي)، وظلّت بقية القوات تنتظر الإشارة للتحرك.

هبطت الطائرات في مطار (هولولي) الذي لم يقع في قبضة المرتزقة الغزاة، وكان الهبوط ليلياً، دون استعمال الأضواء، وذلك حفاظاً على السرية. وفي

اللحظات الأولى اكتملت السيطرة الهندية على جميع منشآت المطار ومحطة الوقود التابعة له. وهكذا صار باستطاعة الطائرات الهبوط وتنزيل الحمولة بكل أمان.

تمكنت طلائع القوات الهندية، بقيادة كابتن من طائفة السيخ، من الوصول إلى مقر حرس السواحل حيث يوجد الرئيس عبد القيوم، وقدّم القائد الهندي اسمه للرئيس وأبلغه تحيات حكومة الهند.

وصلت أنباء العملية الهندية إلى مجموعة الغزاة في المالديف، واتخذ هؤلاء قراراً سريعاً بإلغاء الانقلاب، ثم الانسحاب السريع من مالديف تحت جنح الظلام. لقد احتل هؤلاء سفينة شحن وجدوها راسية في ميناء العاصمة، واصطحبوا معهم عدداً من الرهائن، وبينهم وزير النقل وزوجته. أبحرت السفينة باتجاه سيريلانكا.

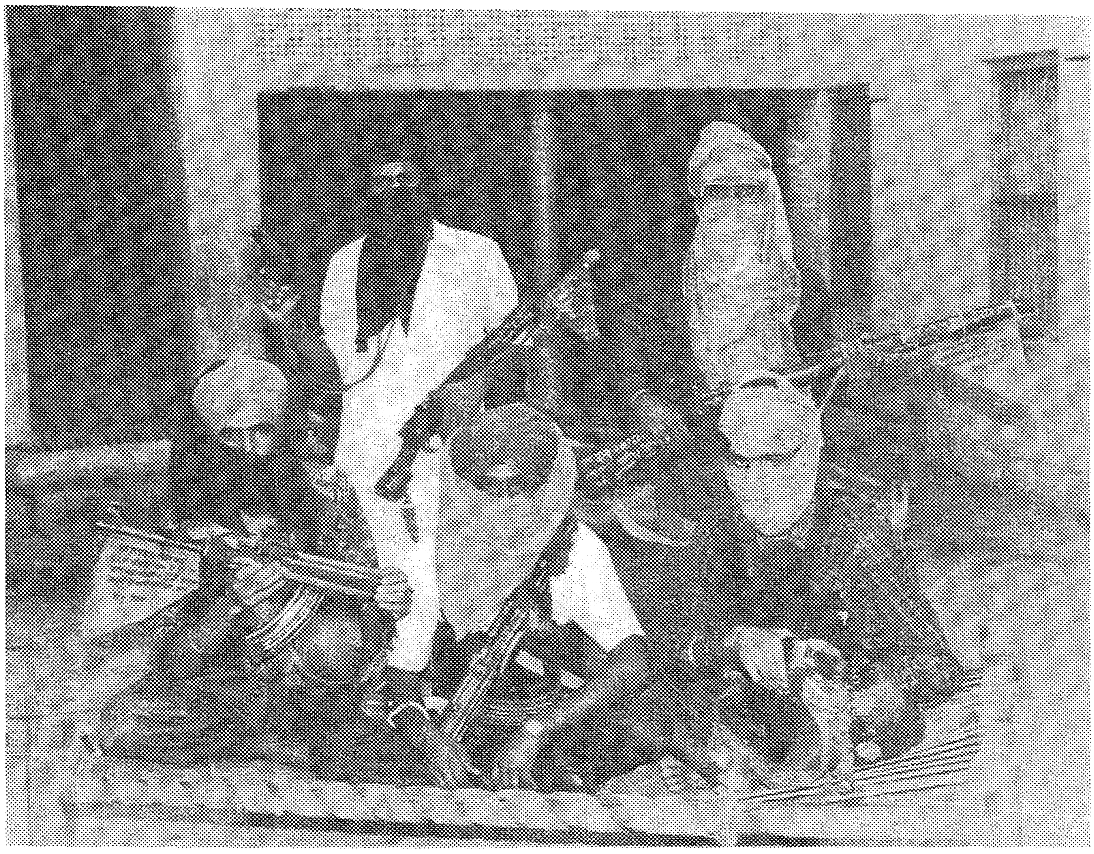
كانت السفينة قد وصلت قبل يومين فقط لتفريغ حمولتها من حاويات نقل البضائع، وفجأة وجد طاقمها أنفسهم في قلب المعركة، وها هم يصبحون رهائن تحت رحمة المرتزقة.

استمر التنسيق بين وحدات الجيش الهندي في تلك الأثناء، فالسفن الحربية على أهبة الاستعداد في منطقة المالديف، وطائرات التجسس تمسح آلاف الكيلومترات المربعة بحثاً عن السفينة الهاربة تحت جنح الظلام دون أنوار أو إضاءة. وعندما أمكن تحديد موقعها؛ اتجهت طائرات الهليوكبتر لتظل على مقربة منها..

أثار وجود طائرات الهليوكبتر الهندية أعصاب المرتزقة، وشكّل ضغطاً نفسياً عليهم أثناء التفاوض، وعندما رفض المرتزقة التفاوض مع مالديفيين، تدخّل الهنود

كطرف في المفاوضات. وعندما وصلت السفينة قريباً من المياه الإقليمية لسيريلانكا؛ رفضت السلطات أن تسمح لها بالدخول إلى مياهها الإقليمية.

نشأت حالة من القنوط واليأس في نفوس المرتزقة، فقتلوا أحد بحارة السفينة كإنذار. وكما عرفنا، كان (أحمد مجتبى) وزير النقل وزوجته ضمن الرهائن.



عملية غزو ضد جزر المالديف

أعطى المفاوضون الهنود الأهمية الأولى لحياة الرهائن مهما كان الثمن. وقد فشلت محاولات إقناع المرتزقة بالاستسلام في يوم ٦/نوفمبر، وهنا قامت سفينة هندية بإطلاق قذائفها باتجاه السفينة المخطوفة، ونقل جهاز اللاسلكي تهديد الهنود بأنَّ صبرهم قد نفد، وهنا تحدث المرتزقة على اللاسلكي طالبين وقف النار وقد أعلنوا استعدادهم للاستسلام.

عند هذه المرحلة، أمر قبطان السفينة الهندية أن يتجمع المرتزقة في أحد طرفي السفينة، ويتجمع الرهائن في الطرف الآخر. وبالتالي أمكن نقل الرهائن بواسطة زورق، ثم نُزع السلاح من المرتزقة، بما فيهم زعيمهم (عبدالله لطفي). أما وزير النقل المالديفي فقد نقل إلى الهند ليمكث في أحد المشافي فترة من الوقت.

حُمل عبدالله لطفي على متن زورق سريع باتجاه بالي (عاصمة جزر المالديف) وخضع لمحاكمة علنية، أغمض خلالها عينيه فيما كانت الجماهير تصرخ: (سلّموه لنا.. سنعتني به..).

من هو لطفي؟

إنه مواطن مالديفي يقيم في سيريلانكا منذ عام ١٩٨٥. وفي سجله العدلي محاولة لتهريب مسدس حربي مخبأ في دمية ابنته أثناء صعود الطائرة في كولومبو (عاصمة سيريلانكا).

أعلن بعد التحقيق أن الانقلاب جرى لحساب ابراهيم ناصر، الرئيس السابق لجزر المالديف والمقيم في سنغافورة، وقد وجد في (لطفي) ذلك الشخص الطموح فكلّفه بتنفيذ العملية الانقلابية. لقد استطاع الانقلابيون احتلال القصر الرئاسي،

وذكر أحد الشهود أنه رأى (لطفي) يجلس على كرسي الرئاسة في القصر، كما ورد في التقرير أيضاً أنه أصدر بياناً للجمهور من أحد مساجد العاصمة.

حوكم لطفي بتهمة الخيانة العظمى حسب قانون المالديف، وهو الآن نزيل أحد السجون في جزيرة (هيمفوشي). وكانت المحكمة قد أصدرت عليه حكم الإعدام شنقاً، لكن الرئيس عبد القيوم استخدم صلاحياته وخفض الحكم إلى السجن مدى الحياة، بينما فقد ٢٧ شخصاً حياتهم خلال العملية الانقلابية.

قام الرئيس عبد القيوم بعد ذلك بأداء اليمين كرئيس لفترة ثالثة في المالديف، وانسحبت القوات الهندية ما عدا كتيبة واحدة بقيت حسب طلب الرئيس المالديفي. وبعد سنة من ذلك التاريخ، غادرت الكتيبة الهندية متجهة إلى قاعدتها في الوطن، وذلك بعد أن علق الرئيس عبد القيوم الأوسمة على صدور الضباط اعترافاً منه بالجميل.

الفصل الرابع عشر

عملية ناغازاكي

كانت معنويات الجيش الياباني مرتفعة وتمكّنت البحرية اليابانية من قصف ميناء <<بيرل هاربور>> حيث يرسو الأسطول الأمريكي. كانت الولايات المتحدة حتى تلك اللحظة تقف مراقبة ومتفرجة على أحداث الحرب العالمية الثانية، وجاءت عملية <<بيرل هاربور>> لتشكّل الحجّة المقنعة كي تدخل الحرب.. ولكنها جعلت اليابان تعاني من كارثة لن تزول آثارها قبل مئات السنين.. فالزهور لاتنبت في هيروشيما أو ناغازاكي.. لقد دمرت واشنطن المدينتين في لحظات معدودة.

عندما حل شهر آب من عام ١٩٤٥، أكملت الولايات المتحدة الأمريكية إنتاج أول قنبلة نووية في التاريخ، وقد اختبرت في منطقة صحراوية لدراسة آثارها.. وعندما نجحت التجربة أمر الرئيس <<هاري ترومان>> بإلقاء قنبلة نووية يوم ١٩٤٥/٨/٦، في الساعة الثامنة صباحاً فوق مدينة هيروشيما الآهلة بالسكّان، وسبّبت القنبلة دماراً - لا مثيل له - أصاب الحياة البشرية والبيئة والمدينة بكل مرافقها..

في ميدان القتال، صمد اليابانيون، على مضيٍّ أربعة أشهر على انتحار هتلر واستسلام ألمانيا، ظل الجيش الياباني صامداً دون أن تنكسر شوكته، وظل وزير الدفاع الياباني الجنرال <<كوريشيكا آنامي>> محافظاً على صلابة قوّاته.

يحمل الرئيس الأمريكي <<هاري ترومان>> - من الناحية الرسمية ـ المسؤولية الكاملة عن ضحايا القنبلة النووية، ولكننا لا نعرف اليوم من المسؤول الحقيقي ومن صاحب فكرة إلقاء القنبلة فوق مدينة هيروشيما.

كان بوسع الرئيس الأمريكي استدعاء السفير الياباني أو أي وفد ياباني آخر وإطلاعهم بشكل ميداني على تجربة تفجير القنبلة في الصحراء، وبالتالي ينقل هؤلاء الصورة إلى طوكيو، وعندها ستقتنع الحكومة اليابانية وتستسلم، ولن تبقى هناك حاجة لقصف المدينة الآمنة بالقنابل النووية..

وللأسف فقد تخلّى الرئيس <<ترومان>> عن تلك الخطة الناجحة، واختار الدمار والموت والإشعاع النووي.. ومن يدري لعل حاشيته لم تطلعه على حقيقة آثار القنبلة..

عندما سقطت القنبلة فوق هيروشيما، مات على الفور ١٠٠٠٠٠ إنسان، وأورد المذياع الياباني بياناً قال فيه: (لقد ألقي نوع جديد من القنابل فوق هيروشيما، ويجري التحقيق في الأمر).

وكأن القنبلة الأولى لم تشفِ غليل الرئيس الأمريكي <<ترومان>>، ولربّما كانت التقارير عن الدمار الشامل لم تصل إليه، فأمر بإلقاء قنبلة أخرى فوق مدينة



الرئيس الأمريكي هاري ترومان المسؤول عن استعمال القنبلة النووية فوق هيروشيما / اليابان

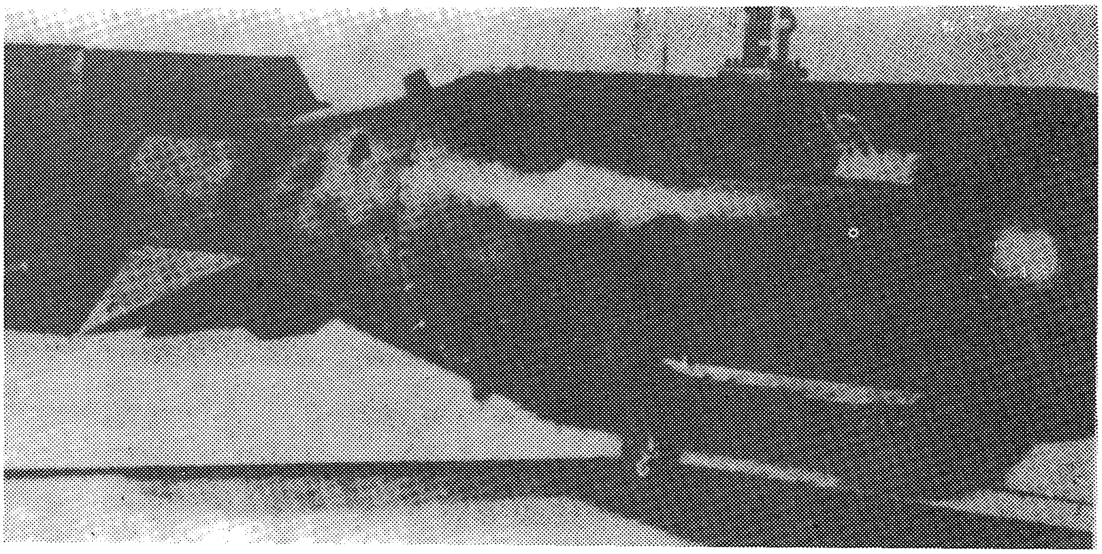
ثانيــة، وقــد اختــار وزيــر الحــرب الأمريكــي <<هــنري ستيمســون>> مدينــة <<ناغازاكي>> لتكون الهدف التالي.

الطائرة تحمل القنبلة النووية الثانية:

اختــيرت طــائرة مــن طــراز <<بي٢٩>> يقودهــا الطيــار تعيــس الحــظ الرائــد <<تشارلز سويني>>، وأقلع يــوم ١٩٤٥/٨/٩، في الســاعة الثالثــة ليــلاً مــن جزيــرة تينيان في المحيط الهادي، وعلى بعد ٣٤٠٠ ميل من اليابان، وكــانت طائرتــه تحمــل القنبلة الثانية التي تشبه ثمرة البطيخ. كــان طــاقم الطــائرة يضــمُّ ١٣ رجــلاً، وبينهــم الفريق <<فردريك آشورث>>، الممثل الشــخصي للفريــق <<ليــزلي غروفــز>> مديــر مشروع (مانهاتن) وهو الاسم الرمزي لمشروع إنتاج القنبلة النوويــة. أمــا المسؤول عن تحديد موقع الهدف فهو <<كيرميت بيهان>>.

وفي طائرة أخرى مــن الطــراز نفســه، قبــع فريــق مــن علمــاء الفيزيــاء والــذرة وبصحبتهم أجهزة علمية لتسجيل آثار الانفجار النووي وتصوير الغيمة الناتجة عــن الانفجار والتي تشبه فطر عش الغراب.. ولكن بحجم عملاق..

استغرق <<سويني>> سبع ساعات من الطيران حتى وصل إلى الهــدف، وأخــذ ارتفــاع ٣١٠٠ قدم وهــو الارتفــاع المناســب لإلقــاء القنبلــة. وعندمــا يفتــح بيهــان السكة لانزلاق القنبلة؛ وينــتزع الأســلاك الكهربائيــة الســتّة الــتي تصــل القنبلــة مــع صندوق التحكّم، لن يستطيع مخلــوق منــع القنبلــة مــن الانفجــار وتدمــير الحيــاة في <<ناغازاكي>>.. ترى كيف سيعيش <<بيهان>> تجاه نفسه بعد إلقاء القنبلة؟..



هذه هي القنبلة النووية التي ألقيت على هيروشيما في نهاية الحرب العالمية الثانية

كانت لحظات حاسمة قبل أن يصدر <<آشورث>> أمره بالإطلاق، وألقى <<بيهان>> نظرة أخيرة على المدينة الآمنة، لأنها بعد لحظات لن تكون موجودة على سطح الأرض.. ثم شغّل جهاز الإطلاق الآلي، وخلال ٥٢ ثانية انفجرت القنبلة في الساعة الحادية عشرة صباحاً، وكانت على ارتفاع ٥٠٠ ياردة فوق المدينة المسكينة.

عندما تنفجر القنبلة النووية تولّد كتلة ناريّة تشبه الكرة، وتصل درجة الحرارة إلى مئة مليون درجة مئوية، وتعطي الكرة النارية بريقاً يزيد ١٠٠ مرة عن بريق الشمس... ويتوسع قطرها خلال ثوانٍ ليشمل المدينة كلّها، ويتولّد انفجار يعادل ٢٠٠٠٠ طن من مادة ت ـ ن ـ ت، عدا الصدمة والإشعاع.. وهكذا تموت جميع الكائنات الحيّة، وتتفحّم الأشجار وتنصهر المعادن ويحترق الأكسجين...

وفي إحدى الكنائس التي تبعد ١٢٠٠ قدم من مركز الانفجار، كـان الرهبـان يستمعون إلى اعترافات الرعية، ولكن الانفجـار حوّلهـم إلى أكـوام مـن الرمـاد، إلى جانب الرعيّة، والكنيسة نفسها... الموقوفون في السجون ماتوا مع حرّاسهم، كمـا مات أصحاب العاهات من (الصمِّ والعمي) والأطفـال المصـابين بالكسـاح والذيـن يقيمون في أحد المصحّات... الأبنية تحوّلت كلُّها إلى أنقاض.. و لم يبقَ أثـر للحيـاة في دائرة نصف قطرها عشرة أميال... ولقد مات ٧٥٠٠٠ إنسان فور انفجار تلك القنبلة اللعينة..

المشهد من الطائرة:

أعطيت تعليمات للطيار <<سويني>> كي يرتفع بالطائرة قدر الإمكـان عقـب قذف القنبلة، وحذّرت التعليمات الطيار من خطر الطـيران وسـط الدخـان النـاجم عن الانفجار.. فالدخان سيحتوي نشاطاً إشعاعياً خطيراً... أما بقيّة طاقم الطـائرة فقد استعمل نظّارات خاصة، ولكن البريق الفظيع أجـبرهم علـى إغمـاض عيونهـم لثوان عديدة.. وعندما فتحوا عيونهم ونظروا إلى المدينـة تحتهـم، شـاهدوا حلقـات هائلة من الهواء الساخن تندفع باتجـاه الطـائرة... ثـم وصلـت موجـات الصـدم إلى جسم الطائرة فاهتزت بعنف.. ثم شاهد <<سويني>> غيمـة مـن الدخـان واللهـب تصعد من الأرض..

حملت الطائرة الثانية فريقاً مـن العلمـاء والصحفيـين لتسـجيل آثـار الانفجـار وتقديم التقارير حولها.. وها هو <<وليام لورنس>> من صحيفة <<نيويورك تايمز>> يصف الانفجار ـ الجريمـة لصحيفتـه، وبسـبب ذلـك المقـال، حصـل علـى (جـائزة

بوليتزر) الأمريكية الشهيرة التي تمنح كل عام لصاحب أفضل إنجاز صحفي.. يقول <<وليام لورنس>>:

ـ شاهدنا بأم أعيننا عموداً عملاقاً من النار أحمر اللون.. وبارتفاع عشرة آلاف قدم، ثم رأينا ما يشبه فطر عش الغراب العملاق يصعد حتى ارتفاع ٤٥٠٠٠ قدم.. وكانت الأشياء تغلي مثل رغوة الكريما....

وبعد ذلك، قام ضابط الاتصال اللاسلكي بإرسال البرقية التالية: [قصفنا مدينة <<ناغازاكي>>، نحن نرى المشهد بعيوننا، المقاومة معدومة، آثار الضربة تشبه آثار ضربة هيروشيما، الوقود يكفي للوصول إلى جزيرة أوكيناوا].

رسالة العلماء:

على بعد ٢٥ كيلو متراً من <<ناغازاكي>>، استدعي <<غونكي كيتامورا>> مدير الإنتاج في مصنع طائرات <<إيساهايا>>، ووصل إلى مختبر الأبحاث في الساعة الواحدة ظهراً حيث وجد مجموعة من العلماء منكبة حول منضدة، وهناك رأى اسطوانة <<سيلندر>> طولها ٥ أقدام، وقطرها ١٨ إنشاً، وقيل لغونكي إن هذا الجسم الغريب عثر عليه في حقل قريب؛ ويبدو أنه سقط من طائرة من طراز بي٢٩ في الوقت نفسه لسقوط القنبلة الغريبة المدمّرة.. وشاهد المدير المظلّة التي حملت الأسطوانة..

اقترب المدير بأذنه من الأسطوانة فسمع تكة تشبه أصوات الساعة؛ فأمر الجميع بالخروج، وسمح لمتطوّع واحد بالبقاء معه، فإذا كانت الاسطوانة قنبلة

موقوتة، لن يبقى أحد حيّاً ليعـرف حقيقتهـا... ولحسـن الحـظ لم تكـن قنبلـة، بـل كانت تحتوي على أجهزة لقياس آثار الانفجار النووي فوق <<ناغازاكي>>..

أمـا الشـيء الأكـثر إثـارة في تلـك الاسـطوانة فهـو الرسـالة الـتي عـثر عليهـا اليابانيون معنونة إلى شخص اسمه [البروفسور ساغاني].. وكـانت الرسـالة مكتوبـة باللغة الإنكليزية، وتقول:

[إلى حضرة البروفسور <<ف ـ ساغاني>>، هذه رسالة من ثلاثة علماء كـانوا زملاء لك خلال إقامتك في الولايات المتحدة.

نكتب إليك هذه الرسالة الشـخصية ونرجـوك أن تبـذل مـا بوسـعك لإقنـاع الحكومة اليابانية بالاستسلام، إن كونك عالم فيزياء نووية شهير يعطيك قـوة تأثـير وإقناع.. سيتعرض الشعب اليابـاني للفنـاء إذا اسـتمرت واشـنطن في إلقـاء قنابلهـا النووية. أنت تعلم ـ ولا شك ـ بمشروع بناء القنبلة النوويـة، ولقـد صنعـت القنبلـة بـالفعل، وجُرِّبـت للمـرة الأولى في الصحـراء، ثـم ألقيـت الثانيـة فـوق هيروشـيما، وألقيت الثالثة فوق ناغازاكي صباح هذا اليوم...

لقد أصاب السُعار الرئيس ترومان وهو يطلـب بنـاء المزيـد مـن هـذه القنبلـة، ونحن نتوقع أن تصبـح الولايـات المتحـدة وحشـاً متعطشـاً للدمـاء، ولذلـك نفكّـر بضرورة وجود دولة أخرى تملك القنبلة النووية لخلـق تـوازن قـوى؛ وبالتـالي ردع ترومان عن الاستمرار في هذه اللعبة الشريرة..

على اليابان أن تستسلم فوراً لتنقذ من تبقّى من أطفالها على قيد الحياة.. لقـد خرج سرّ القنبلة من يد العلماء ووقع في يد السياسيين، وهذه طامّة كبرى..].

سأل مدير الإنتاج الرجال من حوله عمّن يعرف شخصاً باسم البروفسور <<ساغاني>>، فأجابه أحد الفنيّين: نعم.. أنا أعرفه.. إنه أحد أساتذتي.. وهو مدرّس في جامعة طوكيو..

وصلت الرسالة إلى البروفسور، وقام هو بنقلها إلى مجلس الدفاع الأعلى الياباني.

الامبراطور يتدخل:

انعقد مجلس الدفاع الأعلى، وسمع الجميع شرحاً حول القنبلة الجديدة، فطرح أحدهم سؤالاً: هل تملك الولايات المتحدة قنابل أخرى؟ وكان سؤالاً جوهرياً، ولكن الامبراطور الياباني <<هيرو هيتو>> حضر جلسة مجلس الدفاع الأعلى بنفسه ولأول مرة، وتدخّل معلناً أنه يقبل استسلام اليابان بشكل كامل، ولن يغامر بحياة شعبه.

يشتهر اليابانيون بالطاعة والانضباط والاهتمام بالشرف العسكري، لذلك خرج العديد من كبار الضباط منسحبين من الجلسة ليقوموا بالانتحار على طريقة <<الهاراكيري>> التي تعبّر عن الشرف. واستسلمت اليابان ــ دون شرط ــ يوم ١٩٤٥/٨/١٥ بعد ستة أيام من قذف <<ناغازاكي>> بالسلاح النووي، ولكن واشنطن لم تراعِ قواعد القانون الدولي زمن الحرب، وقتلت العديد من كبار الضباط اليابانيين على أنهم (مجرمين) ولم تعاملهم بصفتهم (أسرى حرب)، وكان القتل على طريقة الإعدام التي تنفّذ بحقّ المجرمين.



امبراطور اليابان خلال الحرب العالمية الثانية(هيرو هيتو)، وتبدو ملكة بريطانيا الى جانبه

التخلّص من جثث الضحايا:

هبط الطيَّار <<تشارلز سويني>> بأمان في القاعدة الجوية الأمريكية الموجودة في جزيرة <<أوكيناوا>> اليابانية، ولم يكن متبقياً في خزانات وقودها سوى سبعة

غالونات فقط.. وشاهد ضباط الحركة الأرضية الطائرة تعطي إشارة وجود أضرار خطيرة وإصابات بين أفراد الطاقم، وهرعت سيارات الإسعاف إلى الطائرة والكل يصرخ مذعوراً: أين المصابون؟ أشار الطيار باتجاه <<ناغازاكي>> قائلاً: لقد تركت خلفي عشرات الألوف من الضحايا... وكان الطيار مصيباً... فقد ترك الدمار والموت في <<ناغازاكي>>.. والعذر الوحيد لديه أنّه كان ينفّذ الأوامر..

سكن الموت <<ناغازاكي>> شهوراً وسنوات، بل عقوداً، وظل الناس يعايشون الألم والموت اليومي بسبب الغبار الذري والإشعاع؛ وما ينتج عنه من أمراض سرطان الدم والانهيار العصبي والاختلالات المتنوّعة..

أعاد اليابانيون إعمار مدينتهم، لكن البشرية ستظل تذكر ما فعله الأمريكان بهذه المدينة يوم ٩/٨/١٩٤٥، وستظلّ تمثّل الدمار الذي يمكن لرجال كـ <<ترومان>> أن يسبّبوه ويجلبوا به العار إلى التاريخ البشري.

وفي عام ١٩٩٥ احتفل الحلفاء الغربيون بانتصارهم الساحق على ألمانيا، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعتذر عن استعمالها للقنبلة النووية فوق اليابان.

تمتلك واشنطن اليوم كل الأسباب الداعية إلى الاعتذار عن تلك الجريمة، لكنها تحتاج إلى زعيم يمتلك من الشجاعة ما يؤهله لتقديم الاعتذار المطلوب.

محتويات الكتاب

الصفحة